الجامعة الأميركيّة في بيروت

مقدّمة ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا: التخطيط والأهداف في الاختيار الأدبيّ عند الشهاب الخفاجيّ (ت 1659م)

إعداد

أنيس نبيل عامر

رسالة

مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة أستاذ في الآداب

(الماجستير)

إلى دائرة اللغة العربيّة ولغات الشرق الأدنى

في كليّة الآداب والعلوم

في الجامعة الأميركيّة في بيروت

بيروت، لبنان

كانون الثاني 2024

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THE INTRODUCTION OF RAYḤĀNAT AL-ALIBBĀ WA-ZAHRAT AL-ḤAYĀT AL-DUNYĀ: PLANNING AND PURPOSE IN SHIHĀB AL-KHAFĀJĪ (D. 1659 AD) LITERARY ANTHOLOGY

by
ANIS NABIL AMER

A thesis
Submitted in partial fulfillment of the requirements
for the degree of Master of Arts
to the Department of Arabic and Near Eastern Languages
of the Faculty of Arts and Sciences
at the American University of Beirut

Beirut, Lebanon
January 2024

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THE INTRODUCTION OF RAYḤĀNAT AL-ALIBBĀ WA ZAHRAT AL-ḤAYĀT AL-DUNYĀ: PLANNING AND PURPOSE IN SHIHĀB AL-KHAFĀJĪ (D. 1659 AD) LITERARY ANTHOLOGY

by

ANIS NABIL AMER

Approved by:

M. AbdelMegeed — Signature M. AbdelMegeed

Dr. Maha AbdelMegeed, Assistant Professor — Advisor
Department of Arabic and Near Eastern Languages

Bilal Orfali — Signature Bilal Orfali

Prof. Bilal Orfali, Professor
Sheikh Zayed Chair of Arabic and Islamic Studies — Member of Committee
Department of Arabic and Near Eastern Languages

Tarek Abou Hussein — Signature

Dr. Tarek Abou Hussein, Assistant Professor — Member of Committee
Department of History and Archeology

Date of thesis defense: Jan 19, 2024

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THESIS RELEASE FORM

Student Name: Amer (Last) Anis (First) Nabil (Middle)

I authorize the American University of Beirut, to: (a) reproduce hard or electronic copies of my project; (b) include such copies in the archives and digital repositories of the University; and (c) make freely available such copies to third parties for research or educational purposes.

☒ As of the date of submission

☐ One year from the date of submission of my project.

☐ Two years from the date of submission of my project.

☐ Three years from the date of submission of my project.

Anis Amer — Signature

Feb 6, 2024 — Date

شكر

أشكر الله سبحانه على توفيقي في إنجاز هذه الرّسالة. وأشكر أهلي وأحبّتي على دعمهم وتشجيعهم لي.

ثمّ أشكر أستاذتي الفاضلة الدكتورة مها عبدالمجيد التي ما وفّرت متابعةً ونصيحةً وتقديرًا، فالفضل الكبير يعود إليها في إنجاز هذه الرسالة لكونها المُتابِعة الصادقة لعملي والناصحة الدائمة خلال هذه الرحلة.

ثمّ أشكر أستاذي الفاضل الدكتور طارق أبو حسين، والذي أنار دربَ هذه الرسالة بقدومه إلى الجامعة الأميركيّة في بيروت فأغنى عملي بمصادر ونقاشات عن التاريخ العثمانيّ.

ثمّ أستاذي الفاضل الدكتور بلال الأرفه لي، الذي ما وفّر دعمًا من بداية مرحلة الماجستير، فأنا له من الشاكرين.

ووافر شكري أيضًا لأستاذتي الفاضلة الدكتورة إيناس الخنسا التي أمدّت هذه الرحلة بالدعم والتقدير، راجيًا لها وافر التوفيق والسداد.

أيضًا، أقدّم وافر شكري لدائرة العربيّة ولغات الشرق الأدنى في الجامعة الأميركيّة في بيروت، راجيًا لها ولأساتذتها الأفاضل دوام التوفيق والتألّق.

مستخلص الرسالة

أنيس نبيل عامر لماجستير في الأدب
الاختصاص: اللغة العربيّة وآدابها

العنوان: مقدّمة ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا: التخطيط والأهداف في الاختيار الأدبيّ عند الشهاب الخفاجيّ (ت 1659م)

تنطلق هذه الرسالة في دراستها لمقدّمة كتاب الخفاجيّ من تفحّص التقاطع بين المختارات كشكل أدبيّ وبين البُنى التي شَغَلَها الخفاجيّ في مسيرته العلميّة/المهنيّة. ومن هنا تتفاعل مع حقل المختارات الأدبيّة من ناحية ومع حقل التأريخ للقرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديّين، فتفتح حوارًا بينهما من موقع نصّ الخفاجيّ ذاته في محاولة لتفحّص بنية النصّ ومنطق الجمع فيه. إنّ ما يميّز نصوص المختارات الأدبيّة هي المعايير الحاكمة للاختيار من جهة ومنطق نظم وعرض الموادّ ضمن أبواب أو فصول من ناحية أخرى، وعليه فإنّي أقوم بتسمية الجانبين معًا "منطق الجمع" أي جمع المادّة من ناحية وجمعها في الكتاب من ناحية أخرى. يقدّم الخفاجيّ في مقدّمة كتابه منطق الجمع هذا من خلال الخطّة التي يضعها للكتاب: تحمل المقدّمة المحاور الناظمة للكتاب ومواضيعه المُتقاطعة ما بين التجربة الشخصيّة والتاريخ والتأليف في المختارات الأدبيّة. أضف إليه، فإنّ المقدّمة تقدّم تأريخًا لتأليف الكتاب نفسه خاصّةً وأنّ الكتاب هو إعادة كتابة لكتاب آخر أو لمؤلَّف سابق للمؤلّف نفسه، ومن ناحية أخرى فهي تقدّم تخطيطًا للكتاب يسمح لنا بفهم طريقة حياكة هذه الأجزاء وفهم علاقتها ببعضها والغرض من جَمعِها في مؤلَّف واحد.

إنّ دراسة تجربة الشهاب تسمح لنا باستكمال صورة دراسات القرن السابع عشر، وتحديدًا فهي تسهم في دراسة الإنتاج الفكريّ والأدبيّ في القرن السابع عشر بعيدًا عن سرديّة الانحطاط، ويتمثّل الإسهام الرئيس لهذه الرسالة في تقديمها قراءةً لرؤية الخفاجيّ لمشروع كتابه كما يبلوره في مقدّمة الكتاب، فنستكشف من خلال هذه المقدّمة العلاقة ما بين الكتاب وحياة المؤلّف، فلا يمكن فصل عمليّة التأليف أو ما نسمّيه في رسالتنا "منطق الجمع" عن الدوائر المعرفيّة التي تحرّك فيها المؤلّف، ومثالٌ عليها موقعه العلميّ ضمن مؤسّسات السلطنة العثمانيّة وعلاقاته الشخصيّة ومحيطه الجغرافيّ. ثمّ إنّ هذه العلاقة تفرضها بنية النصّ نفسه، حيث تشير إلى الرابط النصّيّ ما بين تأريخ الخفاجيّ لنفسه وعمليّة تأليف الكتاب، ويظهر هذا جليًّا في أنّ الكتاب نفسه تحرّك ما بين نسختين، نسخة أصليّة تتمثّل بكتاب *خبايا الزوايا فيما في الرجال من بقايا*

أعاد الشهاب ترتيبها ليؤلّف كتابه *ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا* من منطلق النظر في رحلة حياته. ومن هنا فإنّ هذه الرسالة تقدّم قراءة نصّيّة بالأساس، والتي لا يمكن أن تتمّ دون فهم حياة الخفاجيّ وتاريخ تلك الفترة، وعملًا بما تقدّم فإنّها تقترح مقاربةً إضافيّةً لما قُدّمَ سلفًا عن التأليف في المختارات الأدبيّة من خلال تفحّص البُنى المعرفيّة التي تُحَرّك الكاتب في عمليّة جمعه لعناصر النصّ المختلفة من سياقات اجتماعيّة وتاريخيّة وأدبيّة. ثمّ إنّ مقاربتنا هذه سمحت لنا بتدقيق آخِر ما توصّلت إليه آخِر الأبحاث حول شخصيّة الخفاجيّ كما تظهر مثلًا في دائرة المعارف الإسلاميّة النسخة الثالثة.

ABSTRACT
OF THE THESIS

Anis Nabil Amer for Master of Arts
Major: Arabic Language and Literature

Title: The Introduction of Rayḥānat al-Alibbā Wa-Zahrat al-Ḥayāt al-Dunyā: Planning and Purpose in Shihāb al-Khafājī (d. 1659 AD) Literary Anthology

This thesis contributes a study of the introduction of *Rayḥānat al-Alibbā*; an Arabic Literary Anthology compiled in the seventeenth century by Shihāb al-Khafājī (d. 1659 AD) from the twined perspectives of literary studies and Ottoman intellectual history.

I argue that in partaking in the long tradition of compiling literary anthologies, al-Khafājī's practice defines the "gathering of literature" in two inter-related ways. First, it takes the meaning of traveling and gathering the material, and second it takes the meaning of weaving this material in the anthology with other types of literature. I call both of these aspects of "gathering" the "structuring logic" of the work. To understand this logic, I situate al-Khafājī's career within two scholarly fields: the study of literary Anthologies and the field of Ottoman Historical studies of the sixteenth and seventeenth centuries. Then I argue that we can distill Shihāb's structuring logic by examining the introduction of his Rayḥāna. The introduction sketches a map of the book that draws the relationship amongst the different parts of the book which is further accentuated by the fact that it also offers a history of the book's writing and re-writing since the book is a rewriting of another book or a previous work by the same author. On the other hand,

In so doing, this thesis contributes to the ongoing scholarly studies of the seventeenth century in the Ottoman world beyond the narrative of "decay" (*inḥitāt*). Its contribution can be distilled in the way it reads the relationship between the author's life and positionality and the structure of his anthology. This thesis presents a reading of al-Khafājī's philosophy of his book project, as articulated in the book's introduction. Through this introduction, we explore the relationship between the book and the author's life. The process of authorship, or what we refer to in our thesis as "structuring logic," cannot be separated from the cognitive circles that the author operated within, exemplified by his scholarly position within the institutions of the Ottoman Empire, his personal relationships, and geographical surroundings.

Furthermore, this relationship is demonstrated by the structure of the text itself which indicates the textual link between al-Khafājī's own personal history and the process of book authorship. This relation between the author's own life and his book is also evident in the fact that the book itself moves between two versions, an initial version *Khabāyā al-Zawāyā* reordered by al-Khafājī to compose his book, *Rayḥānat al-Alibbā*, based on a perspective of reflection on his life journey. Therefore, this dissertation offers a textual reading, which I argue that because of the text's structure, it cannot be accomplished without understanding al-Khafājī's life and the history of that period. Building on what has been previously presented about authorship in literary selections, this

project proposes an additional approach by examining the epistemological structures that drive the author in his process of assembling various elements of the text from social, historical, and literary contexts.

Our approach has allowed us to refine the latest findings about al-Khafājī's life, as seen, for example, in *Encyclopedia of Islam, Three.*

المحتويات

شكر 1

مستخلص الرسالة 2

ABSTRACT 4

قائمة الجداول 9

مقدّمة 10

1. المختارات الأدبيّة: 19
2. نظام العلماء في السلطنة: 25
3. دراسات القرن السابع عشر: 29
4. الإشكاليّة والسؤال البحثيّ 33

الفصل الأوّل: في تعريف الأدب 36

1. العنوان 41
2. الصلاة 46
3. موضوع الكتاب 46

أ. الأدب عند الشهاب: 47

الفصل الثاني: في معايير الاختيار 51

1. معايير اختيار الأدباء عند الخفاجيّ: ما يميّز شعراء الأقسام الأربعة 51
2. القسم الأوّل: الشام 51

3. القسم الثاني: المغرب وما والاها.....61
4. القسم الثالث: مصر 62
5. القسم الرابع: الروم.....63
6. الخلاصة ممّا تقدّم:.....63
الفصل الثالث: أساليب التلقّي والجمع الجغرافيّ 65
1. الاختيار الأدبيّ في مراحل: جمع الأدب، الاحتفاظ به، الاختيار منه.....65
أ. تلقّي الإنتاج الأدبيّ: مرحلة ما قبل التأليف.....68
ب. كيفيّة تلقّي المادّة.....70
ج. المصادر: تلقّي مباشر وغير مباشر.....71
د. البحث عن الأدب.....77
الفصل الرابع: صوت المؤلّف 80
1. نظرة مغايرة لحالة الأدب ومداخلة الخفاجيّ.....80
2. الارتحال شرقًا وغربًا والعودة إلى مصر بعد النفي 82
3. الأعلام في ختام الكتاب.....83
الفصل الخامس: الأغراض.....85
1. الأبعاد الأيديولوجيّة للتقسيم: أوّل أهداف المؤلّف 85
2. الرد على الشيخ يحيى بن زكريّا ثاني أهداف المؤلّف 87
3. التأريخ للذات والسلطنة: التحوّلات السياسيّة والعلاقات الشخصيّة ثالث الأهداف 93
أ. السلطنة.....93
ب. التأريخ للذات: علاقات وتجربة المؤلّف.....95

الخاتمة.....96
بِبليوغرافيا 99

قائمة الجداول

الجدول 1. أسماء وصفات الشعراء: الشام نموذجًا 52
الجدول 2. معايير اختيار الشعر: القسم الثالث نموذجًا 67
الجدول 3. كيفيّة تلقّي المادّة 72
الجدول 4. نماذج من الشعر الذي لا يذكر الشهاب كيف اطّلع عليه 77
الجدول 5. مقارنة تقسيم مخطوط خبايا الزوايا مع تقسيم كتاب ريحانة الألبّا 89
الجدول 6. عدد الأدباء في كلّ قسم من أقسام الريحانة 92

مقدّمة

هيمنت سرديّة الانحطاط لوقتٍ طويل على مجال الدراسات العربية، فنُظر إلى تاريخ الفكر العربيّ بوصفه ينقسم ما بين عصرٍ ذهبيّ كلاسيكيّ من جهة وما بين نهضةٍ حديثةٍ لاحقًا تحاول إعادة إنتاج أمجاد العصر الذهبيّ. ويتوسّط هذين العصرين—وفقًا لهذه السردية—فترة انحطاط طويلة لا تستحق الدراسة حيث أنّها لا تمثّل سوى اجترارٍ باهتٍ لما سبق. وبالرغم من اختلاف الدارسين حول التحقيق الدقيق لكلٍّ من تلك الفترات (العصر الذهبيّ، النهضة، والانحطاط) إلّا أنّ هذه السرديّة هيمنت لوقتٍ طويل حجب عنّا إمكانيّة بل ضرورة دراسة الإنتاج الفكريّ والثقافيّ العربيّ على امتداد عصوره وتعرّجها. وقد ظهرت في العقود الأخيرة مجهودات فرديّة تهدف إلى نقض سرديّة الانحطاط تلك وإلى دراسة الفترات المهملة من تاريخ الفكر والحضارة العربيّة الاسلاميّة، وممّن أسهموا في هذا المجال، ثوماس باور الذي يرى أنّ الشعرَ وَجَبَ أن يُقيَّم حسب الفترة التي أُنتِجَ فيها، وأنّ الفترتين المملوكيّة والعثمانيّة أنتجتا شعرًا متعلّقًا أكثر بالحياة الشخصيّة للأفراد.[1] وآدم طالب من خلال الإشارة إلى أهميّة دور الشعر في الأدب المملوكيّ والأدب العثمانيّ،[2] ودانا سجدي من خلال دراسة التفاعل بين الشاعر والشعر والناس والمكان، أي عبر إعادة النصّ إلى السياق التاريخيّ،[3] وخالد الرويهب من خلال كتابه *تطوّر المنطق العربيّ (1200 – 1800 م)*،[4] وهيلين فايفر من خلال دراسة الصالونات الأدبيّة

[1] Thomas Bauer, "In search of 'Post-Classical Literature': A review Article," *Mamlūk Studies Review* 11, no.2 (2007): 137-167.

[2] Adam Talib, *How Do You Say "Epigram" in Arabic?: Literary History at the Limits of Comparison*, (Leiden, The Netherlands: Brill, 01 Jan. 2018).

[3] Dana Sajdi, "The Place of Early Modern Arabic Culture," *Journal of the Ottoman and Turkish Studies Association*, Volume 7, no. 2, (Fall 2020): 81-94.

[4] خالد الرويهب، *تطوّر المنطق العربيّ (1200-1800م)*، ترجمة أحمد شكري مجاهد، (الطبعة الأولى، الكويت-لبنان: مركز نهوض للدراسات والبحوث، 2022).

ودورها في الجمع بين النخبتين العربيّة والعثمانيّة.[5] وفي السرديّة التي تتبنّى مفهوم الانحطاط يظنّ البعض أنّ دخول المغول إلى بغداد عام 1258م هو عامُ بدءِ الانحطاط عند العرب، وتمتدّ هذه المرحلة إلى أن بدأ عصر النهضة، كما أنّ في موعد بدء هذا الأخير نقاشٌ آخر. علاوةً عليه، فالبعضُ الآخر يردّ بدءَ الانحطاط إلى المرحلة التي استلم فيها السلاجقة الأتراك زمام الأمور في بغداد عام 1055م. وبعيدًا عن حكمِ بغداد، فيرى آخرون أنّ الانحطاط قد بدأ مع انهاء حكم المماليك في مصر على يد العثمانيّين عام 1517م.[6]

إنّ البحثَ في إنتاجِ هذه الفترة يشكّل بالنسبة لنا جزءًا من المحاولات القائمة لدراستها بعدما كانت مهملة، فيتقاطع بحثنا عملانيًّا مع هذه المحاولات المذكورة آنفًا لجهة صرف الجهد نحو دراسة هذه القرون، وأمّا من ناحية التركيز على السياقات فإنّه يتقاطع مع المحاولات التي تدرس تاريخ تلك الفترة والسياقين السياسيّ

---

[5] Helen Pfeifer, "Encounter after the Conquest: Scholarly Gatherings in 16th-Century Ottoman Damascus," *International Journal of Middle East Studies* 47, no. 2 (2015).

أيضًا انظر:

Helen Pfeifer, *Empire of Salons: Conquest and Community in Early Modern Ottoman Lands* (Princeton University Press, 2022).

[6] Haci Osman, Gunduz. "Ottoman-Era Arabic Literature: Overview of Select Secondary Scholarship." *Journal of the Faculty of Arts and Sciences* 69 (2021): 107-122.

وللمزيد عن موضوع الانحطاط انظر ما كتبه بيرنارد لويس (مع أخذ العلم أنّ لويس شخصيّة إشكاليّة):

Bernard Lewis, "Ottoman Observers of Ottoman Decline." *Islamic Studies* 1, no. 1 (1962): 71–87.

أيضًا انظر:

Bernard Lewis, "Some Reflections on the Decline of the Ottoman Empire." *Studia Islamica*, no. 9 (1958): 111–127.

وفي نقاش، من ناحية أخرى مغايرة، لموضوع سياسة السلطنة في القرن الخامس، والسادس، والسابع عشر -ردًّا على بيرنارد لويس، انظر:

Cemal Kafadar, "The Question of Ottoman Decline." *Harvard Middle Eastern and Islamic Review* 4 (1997-1998), 1-2: 30-75.

أيضًا انظر:

Jonathan Grant, "Rethinking the Ottoman 'Decline': Military Technology Diffusion in the Ottoman Empire, Fifteenth to Eighteenth Centuries." *Journal of World History* 10, no. 1 (1999): 179–201.

والاجتماعيّ، حيثُ نبني مثلًا على ما توصّلت إليه كلٌّ من هيلين فايفر ومادلين زيلفي لوضع أحد أدباء القرن السابع عشر وهو الشهاب الخفاجيّ (ت 1659م) في سياق تاريخ هذا القرن، وتحديدًا سياسيًّا وعمليًّا وعلميًّا.

إنّ الشهابَ شخصيّةٌ غنيّة الهُويّة، فقد كان أحد العلماء العرب والقضاة العرب ضمن النظام القضائيّ–العثمانيّ، تقرّب من السّلطان مراد الرابع (ت 1640م)، كما وكان أديبًا مارس الأدب وخالط الأدباء، وغيرها من التفاصيل التي تجعل منه نموذجًا مُطّلعًا على تفاصيل القرن التاريخيّة والسياسيّة والأدبيّة ومتّصلًا بها، فشكّل محطّ اهتمامٍ لنا لعدّة رهانات: إنّ دراسة تجربة الشهاب تسمح لنا باستكمال الصورة ومدّها، تلك الصورة التي بدأ الباحثون مثال هيلين فايفر برسمها عن تلك الفترة لأنّه جزء من نظام العلماء في هذه السلطنة ومُشتبكٌ أساسٌ مع سياستها. أضف إلى ذلك، فالشهاب قد ألّف في حقل المختارات الأدبيّة كتابًا بعنوان *ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا*، وهو نوع أدبيّ معروف، فإنّ دراسة عمله تساهم أيضًا في تقديم نظرة أوسع للتاريخ الممتدّ للإنتاج الأدبيّ والفكريّ العربيّ.

عاش الأديبُ واللغويُّ العربيُّ والقاضي أحمد بن محمّد بن عُمَر المُلقّب بشهاب الدين الخفاجيّ الشافعيّ المصريّ في عصر الدولة العثمانيّة وعملَ ضمنَ نِظامِها العلميّ القضائيّ ولقيَ شهرةً واسعة، ممّا جعل منه محطّ اهتمام الأدباء الذين ألّفوا في معاجم التراجم والمختارات الأدبيّة. فكتب عنه معاصرون له مثل محمّد أمين المحبّي (ت 1699م) صاحب معجم التراجم *خلاصة الأثر* وحاجي خليفة[7] (ت 1657م) صاحب معجم التراجم *سلّم الوصول إلى طبقات الفحول*، إضافةً إلى أنّ المحبّي قد ذيّل على مؤلّف الشهاب في المختارات الأدبيّة بمؤلّفه *نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة* وعاد وذيّل على هذا الأخير بمؤلّفٍ آخر عنوانه *نيل نفحة الريحانة*. أضف إلى هذا، فإنّ الشهاب وضع لنفسه ترجمةً في مؤلّفه *ريحانة الألبّا*، الكتاب الذي جمع فيه من أدب

[7] عُرِفَ أيضًا بكاتب جلبي

العصر، ثمّ إنّنا ممّا تقدّم من مراجعَ نضع هنا ترجمةً لحياته ستساعدُنا أوّلًا في فَهمِ السياق التاريخيّ والعملانيّ في القرن السابع عشر لارتباطها المباشر به، مثالُ النظامين العلميّ والقضائيّ، وثانيًا في فهم سفر العلماء، ذلك لأنّ الشهاب قام بعدّة رحلات ضمن أراضي السلطنة وعُيّنَ خلالها بالقضاء، وهذا ما أثّر بدوره في تجربة تأليفه في المختارات الأدبيّة كونه اعتمد التقسيم الجغرافيّ في تقسيم كتابه إضافةً إلى جمع المادّة الأدبيّة خلال رحلاته. ثمّ إنّ هذا ما يفرض علينا أن ننظر في العلاقة بين السياق التاريخيّ والنصّ عند دراسة المؤلَّف.

ولد الشهاب سنة 1569م بمصر، أي في النصف الثاني من القرن العاشر الهجريّ،[8] وكان ذاك زمانًا قد بدأت فيه مصر "تنفض عن كاهلها غبار المعارك الطاحنة، التي دارت بين المماليك، الذين كان إليهم حكم مصر، وبين جيوش الدولة العثمانيّة."[9] نشأ الخفاجيّ بمصرَ بكنفِ والده العالم محمّد بن عمر الخفاجيّ الشافعيّ (ت 1602م)، "مربًّى بغذاء علمي الظاهر والباطن،"[10] فدرس النحو وعلوم العربيّة على يد خاله،[11] ودرس المعاني، والمنطق، وبقيّة علوم الأدب، ونظر في كتب المذهبَين: الحنفي، والشافعي، مؤسّسًا على الأصلين."[12] وأخذ عن أفضل العلماء علم العروض، والأدب، والشعر،[13] كما أخذ الطبَّ أيضًا عن أفضل أطبّاء عصره، داود بن عمر البصير الأنطاكيّ.[14]

---

[8] انظر: *خلاصة الأثر*، 333/1.

[9] انظر: *ريحانة الألبّا*، مقدّمة المحقّق عبدالفتّاح محمّد الحلو، 1/1.

[10] نفسه، 327/2.

[11] نفسه، 327/2. في الترجمة التي يضعها الخفاجيّ لنفسه يشبّه خاله بـ"سيبويه زمانه."

[12] نفسه، 5/1.

[13] نفسه، 6/1.

[14] نفسه، 327/2.

وللشهاب الخفاجيّ العديد من المؤلّفات والأعمال الأدبيّة وقد ذكرها في ترجمته التي وضعها لنفسه في كتابه *الريحانة*، وهذا أمرٌ مهمٌّ إذ يوفّر على الباحثِ تجميعَ أعماله وتحديدها كما أنّه يقي الدارس من نسبة أعمالٍ أخرى لهذا المؤلّف غير تلك المذكورة، ونذكرها كما جاءت:" فمن تأليفي: "الرّسائل الأربعون"، و"حاشية تفسير القاضي" في مجلّدات، و"حاشية شرح الفرائض"، و"شرح الدرة"، و"طراز المجالس"، و"حديقة السحر"، وكتاب "السوانح"، و"الرحلة"، و"حواشي الرضيّ والجاميّ"، و"شرح الشفاء"، ولي من النّظم ما هو مسطور في "ديواني" فلا حاجة لذكره ، وقد مرّ منه كثيرٌ في هذا الكتاب. ومن المنثور "رسائل ومكاتيب" لم أجمعها. وها أنا أذكر لك هنا "الفصول القصار" و"المُقامة الروميّة" التي ذكرت فيها أحوال أهل الروم وعلمائها."[15]

قام الشهاب بعدّة رحلات في أراضي السلطنة، لكنّه لم يذكر في ترجمته تواريخ هذه الرحلات، سنيّ ارتحاله ورجوعه من سفره وتواريخ لقاءاته وتعييناته وعزله.[16] ثمّ ما نعرفه ممّا ذكره الشهاب أنّه ارتحل برفقة والده رحلته الأولى إلى الحرمين الشريفين، ثمّ قام برحلةٍ ثانية إلى القسطنطينيّة حيثُ لقي العلماء هناك واستفاد منهم وتخرّج عليهم. أشاد الخفاجيّ بذكاء وجلالة علماء القسطنطينيّة في زيارته لها للمرّة الأولى، فتتلمذ هناك على يد العالم سعد الدين بن حسن جان،[17] وعند وفاة هذا الأخير، قام مقامَه أستاذٌ آخرٌ اسمه صنع الله، ثمّ ولداه، كما يذكر في ترجمته في *الريحانة*.[18] إلّا أنّ شهادة الشهاب بالعلماء الأروام وبالدولة تغيّرت بعد وفاة العلماء الآنفي

---

[15] نفسه، 340/2.

[16] إلّا أنّه قد يَتَكشّفُ بعضُ هذه التواريخ مثل تواريخ التعيين والعزل بالعودة إلى وثائق تعيين القضاة وعزلهم في الدولة العثمانيّة في القرن السابع عشر.

[17] انظر ترجمة سعد الدين في *الريحانة*، 237/1.

[18] نفسه، 329/1–330.

الذكر، حيثُ يقول إنّ الدين قد صار "ملعبة وسخرية، وآل الأمر إلى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء وإهانتهم."[19]

وممّا نعرفه أيضًا أنّه وُلّيَ خلال زيارته الأولى القضاء "ببلاد روم ايلي حتى وصل إلى أعلى مناصبها كأسكوب وغيرها ثم في زمن السلطان مراد[20] توصل حتى اشتهر بالفضل الباهر فولاه السلطان قضاء سلانيك[21] فحصل بها مالا كثيرًا ثم أعطي بعدها قضاء مصر."[22] عُزِلَ الشهاب عن منصبِهِ كقاضٍ في بلاد الروم ولَم يذكُر سبب عزله، وأُرسِلَ لتولّي قضاء العساكر بمصرَ، ثمّ بعد أن تولّى قضاء العساكر ارتحل إلى بلاد الروم رحلتَه الثانية، فيقول إنّه قد خبرَ تفاقم الوضع وتردّيه، فأراد أن يشكوَ ذلك للوزير، إلّا أنّ هذا كان سببًا في عزله وأمره بالخروج

---

[19] نفسه، 330/1.

[20] السلطان مراد الرابع، ولد في اسطنبول عام 1612م، وهو ابن السلطان أحمد الأوّل. تولّى الخلافة بعد عزل عمّه مصطفى الأوّل عام 1623م، وكان لا يزال في الثانية عشرة. توفّي عام 1640م.

[21] Suraiya Faroqi, 'Selānīk,' *In Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, P.J. Bearman (Volumes X, XI, XII), Th. Bianquis (Volumes X, XI, XII), et al, accessed February 4, 2024, http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_6700.

أبرز الأحداث في سلانيك: كان الخفاجيّ قد تولّى قضاء سلانيك في عهد السّلطان مراد (ت 1640م) ليعود ويُنفى إلى مصر قبل وفاة المفتي يحيى بن زكريّا عام 1644م. والجدير بالذّكر أنّ في سنة 1651م، أي قبل وفاة الخفاجيّ بثمان سنوات – خلال فترة تولّيه القضاء في مصر، كان "سباتاي سيفي" ابن أحد التّجّار اليهود قد أُخرج بالقوّة من مرفأ إزمير العثمانيّ بسبب مناداته بالله علانيّةً، ليعود وينظّم وأتباعُه حملةً عام 1658م لتحضير أتباع الدّيانة اليهوديّة لعصر "المسيح": استجاب لهذه الحركة بعض من أتباع الدّيانة اليهوديّة في سيلانيك الّتي تولّى قضاءها الخفاجيّ، والأراضي العربيّة، وهولّندا، وإيطاليا الّذين تركوا أعمالهم عام 1665م بانتظار ظهور المسيح، أي "سباتاي سيفي" كما أعلن نفسه. شكّل هذا الأمر تحدٍّ للسّلطة العثمانيّة، فاعتقلت "سيفي" وأُجبِرَ على الإسلام، فأسلم معه جزء من أتباعه.

For more see: Jane Hathaway, "The Grand Vizier and the False Messiah: The Sabbatai Sevi Controversy and the Ottoman Reform in Egypt." *Journal of the American Oriental Society* 117, no. 4 (1997): 665–71.

[22] انظر: *خلاصة الأثر*، 333/1.

من المدينة، ونقمة بعض العلماء عليه إذ يقول إنّ العداوةَ أظهرَها مَن "هو في زِيّ العلماء، مع أنّه لم يبقَ بها أحد يُحسن قراءة الفاتحة."[23] وبعدها فقد كتب رسالةً إلى بعض رؤساء القسطنطينيّة،[24] يصف فيها ما قد حصل ويذمّ أمر عزله وما آلت إليه الأمور.[25]

إضافةً إلى ما سبق، وأثناء رجوعه إلى الروم رحلته الثانية: انطلق من مصر، فمرّ بدمشق، ثمّ دخل إلى حلب، فوصل منها إلى بلاد الروم. ولمّا وصل، أعرض عنه مفتيها، أي شيخ الإسلام، الشيخ يحيى بن زكريّا لأجل أمور انتقدت عليها، فصنع مقامةً[26] تعرّض فيها للشيخ المذكور، وكان هذا سببًا لنفيه إلى مصر، وإعطائه قضاءً يعتاش منه، فاستقرّ فيها وأخذ يؤلّف ويصنّف، فاستفاد من وجوده كُثُرٌ وأخذوا عنه.[27]

لم نأتِ خلال عمليّة بحثنا على دراساتٍ كثيرة تهتمّ بالإنتاج الأدبيّ للقرنين السادس والسابع عشر الميلاديّين، فالحُكمُ بالانحطاط على هذه المرحلة أسفَرَ عن إهمال النتاج الأدبيّ لأدباء هذين القرنين وعن إهمال دراسة تاريخ هذه المرحلة وظروفها السياسيّة وغيرها، وهذا ما ينعكس على دراسة مؤلّفات الشهاب وحياته وأعماله. إنّما من ناحيةٍ أخرى، فقد وجدنا بعضًا من الدراسات الأكاديميّة التي ركّزت على الشهاب وأعماله، وهي تقتصر على رسالة ماجستير أعدّها عبدالله الزهرانيّ عام 1986 عن الشهاب وأعماله، ورسالة ماجستير أخرى أعدّها زهير هاشم ريالات عام 2004 في الجامعة الأردنيّة بعنوان *"الشهاب الخفاجيّ ومنهجه في التفسير"* وبعض الدراسات الأخرى التي تناولت منهج الشهاب النحويّ. ركّزت رسالة الزهرانيّ على الشهاب وحياته وأعماله في

---

[23] انظر: *الريحانة*، 330/2.

[24] لا يذكر بالتحديد إرساله الرسالة إلى شيخ الإسلام أو غيره، فيقول "بعض رؤسائها."

[25] نفسه، 330/2.

[26] نفسه، 347/2. –"ومشايخ في الطراز الآخر من السفل، كم فيهم من نادرة المرّيخ وزحل... أعمى البصيرة والبصر، عار على آدم أبي البشر."

[27] انظر: *خلاصة الأثر*، 334/1.

ثلاثة أبوابٍ طِوال يتناول فيها عصره وحياته في الباب الأوّل، ومؤلّفاته النثريّة في الباب الثاني، وشعره في الباب الثالث. يتّجه الزهرانيّ في الباب الأوّل عبر عرض بعض الظروف السياسيّة لهذه القرون إلى خلاصةِ الظلم الذي لحق بالنتاج الأدبيّ جرّاء الحكم بالانحطاط عليها، كذلك يتحدّث عن نشأة ورحلات الشهاب ويذكر أساتذته وتلامذته. إنّ الجهدَ الذي صرَفَه الزهرانيّ في سبيل تجميع المادّة كبيرٌ ومميّز ومفيدٌ لكثرة ما تتطلّب عمليّة جمع المادّة والبحث فيها، وتحديدًا مؤلّفات الشهاب التي ما يزال جُلُّها في مخطوطاتٍ لم تُنشَر، ولكنّا لاحظنا في إحدى المواضع التي يذكر الزهرانيّ فيها عودة الشهاب من الروم إلى مصرَ، بعد عزله في المرّة الأولى، أنّ المؤلّفَ يعتبر الشهاب قد عُيّنَ في منصب "قاضي عسكر" في مصر بيدَ أنَ لا منصب لقاضي العسكر فيها، والأصحّ هو أنّه تولّى منصب "قاضي العساكر" أو "قاضي الجيش" الذي يُعنى بشؤون العساكر وقضاياهم في البلد الذي يُسأل عنه. وقد رأينا أنّ هذا الأمر اختلط على رالف الغر كاتب مدخل الشهاب الخفاجيّ في موسوعة الإسلام النسخة الثالثة حيثُ ذكر أيضًا أنّ الخفاجيّ تولّى منصب قاضي عسكر في مصر، والأمرُ يختلفُ كما سنبيّن: بعد فتح السلطان سليم الأوّل (تـ 1520م) لشرق وجنوب الأناضول استُحدِثَ قضاء عسكر ثالث للعرب والعجم اتّخذ من ديار بكر مركزًا له.[28] ليُلغى بعدَها وتُسلّم قيادة العسكر في هذه الأراضي إلى قاضي عسكر الأناضول. وغالبًا ما كان قاضي العسكر يصل إلى رتبة شيخ الإسلام، وتحديدًا قاضي عسكر الأناضول. إذًا، بالعودة إلى مصر، لم يكن فيها منصبٌ لـ"قاضي العسكر،" وهذا يُثبت ما ذكرناه أعلاه.

أضف إلى ما سبق ذكرُه، فقد أتينا على بعض الدارسات التي تناولت بالتحديد منهجه في النقد النحويّ وتحديدًا في الحاشية على تفسير البيضاويّ. واحدةٌ من هذه الدراسات نُشرت في مجلّة كلية التربية الأساسية

[28] سهيل صابان، *المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة*، (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، يناير 2000)، 174.

للعلوم التربويّة والإنسانيّة عام 2018، تناول فيها الباحثان محسن الخفاجيّ وأحمد الجيلاويّ منهج الشهاب الخفاجيّ في النقد النحويّ[29] من خلال حاشيته *عناية القاضي وكفاية الراضي* وبيّنا أنّ منهجَه منهجٌ علميٌّ ذو ملامح فريدة نذكُر منها عناية الشهاب بالموازنة بين الآراء والاستطراد والتطويل. دراسةٌ أُخرى أيضًا اهتمّت بمنهج الشهاب النحويّ في كتابه المذكور سابقًا نشرتها مجلّة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة والتربويّة لنجوى العنزي، أظهرت هذه الدراسة توازن الشهاب في منهجه النحويّ وعدم انحيازه إلى واحدٍ من المذهبَيْن النحويّين الكوفيّ والبصريّ، بل أنّه اعتمد منهجَه الانتخابيّ.

إذًا، أشار الباحثون المذكورون سابقًا إلى أنّ في منهج الشهاب النحويّ أسلوبٌ متوازن بانَ في *عناية القاضي*، كما ونضيف إلى ما أشاروا إليه أنّ له تجربته الفريدة في مؤلّفه *الريحانة*. يشكّل هذا الكتابُ امتدادًا لنوعٍ أدبيّ ذي تاريخٍ طويل، وهو المختارات الأدبيّة، ولكنّ الشكلَ الذي يتّخذه النوع على يدِ الخفاجيّ هو نتيجةُ الظروفِ التاريخيّة والمهنيّة التي حكمت مسيرة الخفاجيّ العلميّة ذاتَها. وعليه، تنطلق هذه الرسالة في دراستها لمقدّمة كتاب الخفاجيّ من تفحّص ذلك التقاطع تحديدًا بين المختارات كشكل أدبيّ وبين البُنى التي احتلّها الخفاجيّ في مسيرته العلميّة/المهنيّة. ومن هنا تتفاعل هذه الرسالة مع حقل المختارات الأدبية من ناحية ومع حقل التأريخ للقرنين السادس عشر والسابع عشر، فتفتح حوارًا بينهما من موقع نصّ الخفاجي ذاته في محاولة لتفحّص بنية النصّ.

إذًا، يتقاطع عمل الشهاب في *الريحانة* مع حقلين نَشِطَين حديثًا هما دراسة كتب المختارات الأدبيّة والدراسات التاريخيّة العثمانيّة، وبِغَرَضِ الغوصِ أكثر في حياة هذا العالِم وتقديم الإضافة إلى ما سبق أن اطّلعنا عليه،

---

[29] أحمد الجيلاوي ومحسن الخفاجيّ، "الشهاب الخفاجيّ ومنهجه في نقد الوجه النحويّ،" *مجلّة كلّيّة التربية الأساسيّة للعلوم التربويّة والإنسانيّة*. العدد 37. (شباط 2018): 569-578.

سنأتي في ما يلي على تفصيلاتٍ لكلّ واحدٍ من هذين الحقلين ذاكرين تقاطعات الشهاب معهما، ثمّ ننتقل إلى تقديم قراءةٍ لمقدّمة كتابه *ريحانة الألبّا*.

1. المختارات الأدبيّة:

ترتكز فكرة الاختيار الأدبيّ على قاعدة اختيار/انتقاء المؤلّف من مؤلّفات أدباء آخرين ليُنتِجَ عمَلًا جامعًا لها. ثمّ إنّ ما يميّز هذه النصوص هي المعايير الحاكمة للاختيار من جهة ومنطق نظم وعرض هذه الموادّ ضمن أبواب أو فصول من ناحية أخرى، وعليه فإنّي أقوم بتسمية الجانبين معًا "منطق الجمع" أي جمع المادّة من ناحية وجمعها في الكتاب من ناحية أخرى.

تشيرُ الدراسات الحديثة للباحثين في هذا الحقل إلى أنّ ما يُمَيِّزُ هذه الأعمال هو عمليّة اختيار النصوص وترتيبها، ثمّ إنّ هذا ما يُظهرُ أهدافَ المؤلّف واهتماماته.[30] إذًا، يمتاز مجال المختارات الأدبيّة بدور الأديب، فهو يبني نصّه من عدّة نصوص يختارُها، ويظهر صوتَه في النصّ من خلال ترتيب النصوص هذه، أي من خلال عدّة أصوات أخرى. وإضافةً إلى ذلك، فإنّ الطريقة التي يوضع بها الخبر في النصّ قد توضّح أو تعزّز معناه أكثر أو قد تغيّر من عمله كلّيًّا.[31]

لاقت المختارات الأدبيّة في مجال الإنتاج الأدبيّ العربيّ رواجًا واسعًا، وقد أطلق عليها الأدباء عدّة تسميات منها الحماسة، والديوان، والاختيار، والمجموع، وغيرها، ويُعدّ العمل في جمعها واحدًا من طرق ممارسة الأدب.

[30] Hilary Kilpatrick, "A Genre in Classical Arabic Literature: The Adab Encyclopedia." In Proceedings [of The] 10th Congress of the U. E. A. I., Edinburgh, 9-16 September 1980, edited by Robert Hillenbrand, 34-42. Edinburgh, 1982.
[31] Hillary Kilpatrick, "Context and the Enhancement of the Meaning of aḫbār in The *Kitāb al-Aġanī*," *Arabica* 38 (1991): 351-368.

يقدّم بلال الأرفه لي في كتابه *فنّ الاختيار الأدبيّ أبو منصور الثعالبيّ وكتابه يتيمة الدهر* توضيحًا تاريخيًّا ومفهوميًّا في آن لعمليّة الاختيار الأدبيّ:

"يمكن تعريف "الاختيار الأدبيّ" بأنّه عملٌ أدبيّ يركّز على "لَبِناتٍ" يجمعها المصنِّف لغرضٍ معيّنٍ بحسب معيارٍ خاصّ."[32] ويُعدُّ في الأدب العربيّ عملًا رائجًا وقديمًا بحيث يرجِعُ إلى فترة ما قبل الإسلام. يظهر الاختيار الأدبيّ في فترة ما قبل الإسلام من خلال المعلّقات السبع، بحيث وقع الاختيارُ الأدبيّ الشعريّ على جمع هذه القصائد دون سواها،[33] وهي تُعَدُّ أقدم ما وُضع في الاختيار الأدبيّ العربيّ.[34] ثمّ في فترة ما بعد ظهور الإسلام، أخذ هذا الفنّ مكانته عند الأدباء، ولاقى رواجًا كبيرًا، فأصبح يُعرف بعمليّة اختيار المؤلّف لبعض الشعر والنثر من إنتاج أدباء آخرين ودمجها في كتابه تحت أبوابٍ مختلفة.[35] اهتمّ الأدباء العرب بجمع الأدب، وكان جمعه أيضًا طريقةً من طرقِ ممارسته: فتختلف طريقة اختيار النصوص والشعر وانتقاء الأدباء من مؤلّف لآخر، وهذا ما يميّز هذه الكتب بعضها عن الآخر، بحيث تظهِرُ الاختيارات هدف المؤلّف واهتماماته.[36]

---

[32] بلال الأرفه لي، *فنّ الاختيار الأدبيّ أبو منصور الثعالبيّ وكتابه يتيمة الدهر*، ترجمة لينا الجمّال (بيروت: الدار العربيّة للعلوم ناشرون، 2021)، 47.

[33] See: G. Lecomte. 'Al-Muʿallaḳāt'. In *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, P.J. Bearman (Volumes X, XI, XII), Th. Bianquis (Volumes X, XI, XII), et al. Accessed January 9, 2024. http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_5269.

[34] الأرفه لي، *فنّ الاختيار الأدبيّ أبو منصور الثعالبيّ وكتابه يتيمة الدهر*، 47.

[35] See: A. Hamori, Bruijn, J.T.P. de, Kut, Alpay Günay, and J.A. Haywood, 'Mukhtārāt'. In *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, P.J. Bearman (Volumes X, XI, XII), Th. Bianquis (Volumes X, XI, XII), et al. Accessed January 9, 2024. http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_COM_0791.

[36] Kilpatrick, "A Genre in Classical Arabic Literature: The Adab Encyclopedia." 34-42.

كذلك تختلف بنية هذه الأعمال الأدبيّة بعضها عن الآخر، فلكلٍّ بنيته الخاصّة، وذلك بحسب الدافع لدى المؤلّف: قد تكون الدوافع اختصارًا لكمٍّ كبيرٍ من الأعمال الأدبيّة بغية أن تصل الجيل الجديد ويتناقلها،[37] وكذلك قد تكون اهتمامًا بالشعر الذي يشكّل المادّة الأساس للتأليف المعجميّ.[38] "إلّا أنّ الفكرة العامّة تقتضي جمع المقاطع الأدبيّة "الأفضل،" أو العبارات المهمّة التي تستحقّ أن تدوّن. وتضمن عمليّة جمع هذه الموادّ أنّها سوف تُقرأ، وتُتداول، وتُدرَس، ويُستَشهَد بها، وتُدَرَّس، وتُنقَل، إلى الأجيال القادمة."[39] تتعدّد كتب الاختيارات التي تعنى بجمع الأدب، وهي على عشرة أصناف كما يضعها الأرفه لي: فمنها ما يُعنى بالشكل، ومنها الموسوعيّة، ومنها القائمة على الثيمات والموتيفات، ومنها القائمة على المقابلة، ومنها كتب الاختيارات ذات الموضوع الواحد، ومنها كتب الاختيارات الجغرافيّة، وكتب الاختيارات الموسيقيّة، وكتب اختيارات الصور البلاغيّة، وكتب اختيارات التراجم المرتّبة تاريخيًّا، وكتب الاختيارات الخاصّة بشاعرٍ واحد.[40]

يعتبر الأرفه لي كتاب *يتيمة الدهر* الأوّل من حيثُ الاعتمادُ على التقسيم الجغرافيّ فقط في تصنيف المادّة، إذ يهتمّ حصرًا بعلاقة الشعر بالمكان كنواة للتصنيف، أي دون الاعتماد على غيرها من اعتبارات تاريخيّة أو طبقيّة أخرى.[41] يعتمد المصنّف حسبَ الجغرافيا علاقةَ الشعرِ بالمكان أساسًا في التصنيف أو في تقسيم الكتاب،

---

[37] إبراهيم نجّار، *شعراء عبّاسيّون منسيّون* (بيروت: دار الغرب الاسلاميّ 1997)، 170–171.

[38] نفسه، 170–171.

[39] الأرفه لي، مصدر سابق، 47.

[40] نفسه، 47–70.

[41] نفسه، 71–72. يعتبر الأرفه لي أنّ كتاب *طبقات فحول الشعراء* لابن سلّام الجمحيّ (ت 845–846م) واحدٌ من أقدم كتب الأدب التي اعتمدت التقسيم الجغرافيّ للمادّة –إن لم يكن الأقدم– إلّا أنّه يعتمد معايير إضافيّة في تصنيف المادّة كمعيار التاريخ: تقسيم الشعراء بين الجاهليّ والإسلاميّ، إضافةً إلى تفرّع كل قسم من القسمين المذكورين إلى عشر طبقات اعتمدت على مكانتهم، بحيث تضمّ الواحدة منها أربعة شعراء يتساوون في الموهبة... لذلك فلا تبدو في هذا الكتاب العلاقة بين الشعر والمكان هي نواة للتصنيف كما هو الحال في *يتيمة الدهر*.

فيصنّف الشعر والشعراء في كتابه على أساس المنطقة الجغرافيّة التي ينتمون إليها، أو يكونون من نزلائِها. ثمّ يشير الأرفه لي إلى الكتب التي تبعَت كتاب الثعالبيّ في هذا النوع من التصنيف للموادّ، نذكرها هنا حسب تسلسلها الزمنيّ: *دمية القصر وعصرة أهل العصر* للباخرزيّ (ت 1075م)، ثمّ *وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر* لأبي الحسن بن يزيد البيهقيّ (ت 1169م)، ثمّ *خريدة القصر وجريدة العصر* لعماد الدين الكاتب الإصفهانيّ (ت 1201م).[42]

يعتمد الشهاب في تصنيف أدب العصر في *الريحانة* على الجغرافيا، وهذا مُتعلّقٌ بالرحلات التي سبق لنا أن ذكرناها، فهو يخصّص قسمًا لمصر وقسمًا للشام وأقسام أخرى كان قد زارها فجمع الشعرَ منها أو وصل إليه من أهلها، ثمّ يصنّف في كلّ قسمٍ شعراء المنطقة المذكورة.

وبعدَ الاطلاع على الدراسات الحديثة لكتب هذا المجال، فإنّنا نرى أنّ مجموعةً من الأسئلة تُطرح فيها، ورأيناها تنقسم بدورها في تناولها لكتب الاختيارات الأدبيّة بين توجّهين اثنين: التوجّه الأوّل هو مقاربةٌ لحقلِ المختارات الأدبيّة ككلّ، والتوجّه الثاني يُعنى بمقاربة الجزء أي يُعنى بدراسة كلّ كتابٍ على حدة. تُعنى الوجهة الأولى للأسئلة بفهم هذا المجال على نطاقه الواسع كمعرفة دوافع التّأليف فيه، ومن أسئلته المطروحة ما يلي: ما هي

---

[42] نفسه، 72–75.

ويتخلّل هذه الفترة أيضًا وضع عدّة مؤلّفات اعتمدت التصنيف الجغرافيّ لمادّتها، وهي: مؤلّفٌ في التصنيف حسب الأقاليم وهو كتاب *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة* لابن بسّام الشنتريني (ت 1147م)، ومؤلّفٌ عُني بالنتاج النثريّ والشعريّ لمغرب العالم الإسلاميّ وهو كتاب *قلائد العقيان في محاسن الأعيان ومطمح الأنفس ومسرح التأنّس* للفتح بن خاقان (عاش في القرن الثاني عشر)، ومؤلّفٌ عُني باختيارات في الشعر الصقلّيّ وهو كتاب *الدرّة الخطيرة من شعراء الجزيرة لابن القطّاع* (ت 1121م)، ومؤلّفٌ عُني بجمع أشعار من الأندلس ومن المغرب بأسانيدها وهو كتاب *المطرب من أشعار أهل المغرب* لابن دحية الكلبيّ (ت 1235م)، ومؤلّفٌ عني بالنثر والشعر الأندلسيّ وهو كتاب *كنز الكتّاب ومنتخب الآداب* لأبي إسحاق إبراهيم الفهريّ البوسنيّ (ت 1253م).

أسباب انتشار هذا النوع من الكتابة في الأدب العربيّ؟ وما هي وظائف المختارات الأدبيّة؟ وما هي دوافع التأليف في المختارات الأدبيّة؟

يتطلّب هذا النوع من الأسئلة تتبّع أكثر من عمل أو مجموعة من الأعمال في مجال المختارات الأدبيّة أو على الأقلّ الدراسات الصادرة حولها، وذلك حسب هدف الباحث، لأنّ عمليّة الإحاطة بأسباب الانتشار مثلًا أو بكافّة الوظائف لهذه الأعمال أو بدوافع التأليف فيها يحتاج إلى معاينة أكثر من كتابٍ، كلٌّ على حدة، لتتمّ بعدها الإشارة إلى ما تكرّر أو برز فيها. وفي الوقت عينه، فإنّ السؤال مثلًا عن وظائف المختارات الأدبيّة، هو، قبلَ أن يُصبِحَ واسعًا، سؤالٌ عن وظيفة كلٍّ من الكتب في هذا المجال، وهذا الأمرُ مَثلًا قد يشيرُ إليه المؤلّفُ في مقدّمته. ومن الدراسات الحديثة التي تبحث في أسباب أو دوافع التأليف، دراسة لناديا الشيخ تعمد فيها إلى كتابي *العقد الفريد* لابن عبد ربّه (ت 940م) و*عيون الأخبار* للدينوريّ (ت 895م) وتقيم مقارنةً للأخبار المتعلّقة بالزواج في هذين الكتابين.[43] كذلك تجدر الإشارة إلى الدراسة الكلاسيكة لفرانز روزنتال التي يقارن فيها الفصل عن "العلم" بين عدّة كتب في الاختيارات الأدبيّة بهدف الكشف عن دوافع التأليف.[44]

وأمّا الوجهة الثانية، فهي التي تُعنى بدراسة الجزء، أي دراسة تفاصيل كلّ كتابٍ على حدة. وهذا النوع من الأسئلة هو الذي يُظهِر تميّز كتب مجال المختارات الأدبيّة عن المجالات الأخرى كمجال التأليف في معاجم التراجم مثلًا، لأنّه يسعى لإظهار فرادة العمل فيها، مع أنّها قائمة على جمع الأدب وعلى الاعتماد في التأليف على نصوص أخرى. يُظهر العمل على هذه الأسئلة التي تُعنى بتفاصيل الكتب والمؤلّفين ما يميّز هذا النوع

[43] Nadia Maria El Cheikh, "In Search for the Ideal Spouse." *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 45, no. 2 (2002): 179–96.

[44] Franz Rosenthal, *Knowledge Triumphant: The Concept of Knowledge in Medieval Islam* (Leiden: E.J. Brill, 1970), 252-277.

من الكتابة عبر تبيان فرادةِ المؤلَّف/الكتاب عبر مقاربة خطّته، وترتيب الأبواب فيه، وإظهار مصالح المؤلّف منه، والمنطق الداخليّ وتناسق العمل، وطريقة ترتيب أو تنظيم المداخل في الكتاب، والمواضيع التي يتمّ التعامل معها بشكل متكرّر، ومهارات المؤلّف في الاختيار، والتنظيم، والتعليق على الأخبار، وغيرها. ومن هذه الأسئلة ما يلي:

هل يمكن دراسة أعمال المختارات الأدبيّة على أنّها أعمال لها هُويّتها الخاصّة، أي تمتلك بنية بحدّ ذاتها بالرغم من أنّها أصلًا تستند إلى مجموعة ثابتة ومحدّدة من النصوص؟ ماذا يخبرنا اختيار الموادّ عن المصالح الفرديّة للمؤلّف؟[45] الكثير من الدراسات الحديثة عُنيت بتفاصيل الكتب، نذكر منها مثلًا ما عُني بدراسة مصادر المؤلّف: يبحث سيباستيان غونتار في مصادر كتاب *مقاتل الطالبيّين* لأبي الفرج الأصفهانيّ (ت 967م) بحيث توصّل إلى أنّ المؤلّف قد اعتمد على عدّة مصادر مكتوبة ومسموعة (الأخبار والإسناد المُفرَد والمُتعدّد).[46] كذلك الأرفه لي في مصادر *يتيمة الدهر وتتمّة اليتيمة*، فقد بيّنت دراسته عن رجوع إلى المادّة الشفاهيّة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجريّ، وكذلك عن الرجوع إلى بعض الدواوين، والكتب، والمادّة المكتوبة.[47] أضف إلى دراسات عُنيت بتصنيف الموضوعات في كتب المختارات كدراسة هيلاري كيلباترك في طرق وتقنيّات

[45] Bilal Orfali, and Nadia Maria El Cheikh, eds. *Approaches to the Study of Pre-Modern Arabic Anthologies,* (Leiden, The Netherlands: Brill, 11 Feb. 2021).

[46] Sebastian Günther, "». . .Nor Have I Learned It from Any Book of Theirs« Abū l-Faraj al-Iṣfahānī: a Medieval Arabic Author at Work," in Islamstudien ohne Ende: Festschrift Für WernerEnde Zum 65.

[47] Bilal Orfali, "A Sketch Map of Arabic Poetry Anthologies up to the Fall of Baghdad." *Journal of Arabic Literature* 43, no. 1 (2012): 29–59.

التصنيف في كتاب *الأغاني*: درست كيلباتريك المنطق والتسلسل الداخليّ للكتاب، وتنظيم المداخل، والمواضيع الأكثر تواترًا، ومهارة المؤلّف في التصنيف، والتنظيم، والتعليق على الأخبار.[48]

يأتي مؤلّف الشهاب في المختارات الأدبيّة كنتيجة لتجربته ولرحلاته، فيتقاطع فيه الأدب بمعنى الشعر والنثر مع التجربة الشخصيّة كتسجيل العلاقات الشخصيّة وأدب الذات وأهداف أخرى سياسيّة مثل الردّ على شيخ الإسلام، وسنأتي إليها في فصول رسالتنا، لذلك فإنّ رحلات الشهاب والمهامّ التي استلمها في القضاء والأحداث التي تعاقبت في حياته شكّلت جزءًا لا يتجزّأ من عمليّة النظم في مؤلّفه، فعليه، وجبَ أن نفهمَ السياق المهنيّ الذي تشكّل فيه الخفاجيّ ونصّه معًا خاصّةً وأنّ الخفاجيّ طعّم نصّه بحديث عن تجربته الشخصيّة المهنيّة تلك وبأهداف سياسيّة تخدم مسيرته المهنيّة نفسها. وعليه، فإنّ الاختيار الأدبيّ عند الشهاب يبتعد عن كونه عمليّة عودة إلى أصول النصوص أو الشعر أو الأدباء، بل يظهر على أنّه مزيج من تماهي دوائر معرفيّة عديدة منها ما يحرّكه المحيط الذي نشأ وارتحل فيه، ومنها ما تحرّكه العلاقات الشخصيّة، ومنها ما يتأثّر بموقعه العلميّ/العمليّ في مؤسّسات السلطنة العثمانيّة، ممّا يفسّر لنا الجمع بين أنواع أدبيّة مختلفة مثل الشعر والمقامة في كتاب المختارات الأدبيّة. لذا فإنّ بنية النصّ الذي يتحرّك أصلًا بين نسختين مختلفتين، نسخة أوّليّة وأخرى مُعاد ترتيبها، تفرض علينا النظر في حياة المؤلّف ومحاولته التأريخ لذاته وذكر تجربته.

2. نظام العلماء في السلطنة:

إنّ كلمة "عالم" غالبًا ما كانت تشير في المجتمعات الإسلاميّة إلى الفئة المتعلّمة تعليمًا دينيًّا يشمُلُ العلومَ العقليّة والنقليّة واللغة العربيّة وغيرها. كانت للعالم مكانة في المجتمع تتمثّل في العلاقة الوطيدة بينه وبين

[48] Hilary Kilpatrick, *Making the Great Book of Songs: Compilation and the Author's Craft in Abū l-Faraj al-Iṣbahānī's Kitāb al-Aghānī* (London; New York: RoutledgeCurzon, 2003).

الناس، بحيث يعتمد المجتمع عليه في تمثيله أمام السلطان أو الحاكم، وبالأخصّ حين يتعلّق الأمر بالقضايا الشرعيّة والمجتمعيّة الفقهيّة، وهؤلاء غالبًا هم المفتون –الذين وإن أفتوا بأمر، فللمستفتي الحقّ في أن يأخذ به أم لا وليس الأمر كحكم القاضي. وكذا كان الحال في عصر السلطنة العثمانيّة في ما قبل مرحلة حكم السلطان محمّد الثاني (تـ 1481م): فالعلماء العثمانيّون لم يكونوا في هذا الوقت جزءًا من الحكم بالشكل المباشر، بل اقتصر دورهم كما سرت العادة على التأثير في قرارات السلطان وتسيير شؤون الناس الدينيّة. إلا أنّ الأمر قد تبدّل في مرحلة حكم السلطان محمّد الثاني (تـ 1481م) حيثُ أعطى محمّد الفاتح لقب شيخ الإسلام لمفتي إسطنبول، وجعله المقام الدينيّ الأرفع في السلطنة فأصبح متحكّمًا بالمفتين في إسطنبول، وبالوزراء، وبأئمّة المساجد، وبالوقف.[49]

وفي بداية القرن السادس عشر تمّ تقسيم البيروقراطيّة العثمانيّة إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة قام عليها النظام في السلطنة: القسم الأوّل سمّي "السّيفيّة" وهم الإدارة العسكريّة، والقسم الثاني سمّي "العلميّة" وهم أصحاب المهن القضائيّة والعلميّة، والقسم الثالث سمّي "الكلاميّة" وهم الهيئات المهنيّة المستقلّة.[50] وتعقيبًا على ما سبق، تُظهر مادلين زيلفي في كتابها المتمحور حول العلماء في الدولة العثمانيّة بين 1600 و1800 كيف أنّ هذه السلطنة المسلمة عملت على خلق نظام تسلسليّ أو تراتبيّ ودعمته ضافيةً عليه الشرعيّة يتمثّل في مؤسّسة

[49] كما أنّ منصب شيخ الإسلام قد لاقى دعمًا أكبر في عهد السلطان سليمان (تـ 1566م) (1520 – 1566) حيث أصبحت له سلطة في اختيار قضاة العسكر والقضاة.

للمزيد انظر:

MANSURNOOR IIK ARIFIN, "RELIGIOUS SCHOLARS AND STATE: PATTERNS OF RECRUITMENT AMONG THE OTTOMAN 'ULAMĀ,'" *Islamic Studies* 31, no. 1 (1992): 35–51.

[50] For more see:

Atcil Abdurrahman, "The Route to the Top in the Ottoman Ilmiye Hierarchy of the Sixteenth Century," *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 72, no. 3 (2009): 489–512.

"العلميّة/ilmiye"، أي المؤسّسة المنوطة بالعلماء، خلافًا لما كان يجري في الدول المسلمة المتّبعة للسنّة والتي تمسّكت بالشريعة كطريقة لإدارة شؤون الناس من خلال إعطاء مركز القرار لصوت العلماء.

وأمّا النظام الذي انتمى إليه الخفاجيّ فكان بطبيعة الحال نظام "العلميّة،" والذي تأسّس للعلماء والقضاة مؤلَّفًا من الهرميّة التالية: يأتي على رأس هذه المؤسّسة منصب "شيخ الإسلام" وبعده مباشرةً يأتي منصبا "قاضي العسكر" في مرتبةٍ دونه مباشرةً، وفي عام 1481م انقسم منصب قاضي العسكر إلى منصبين: الأوّل في روم ايلي والثاني في الأناضول، وهذان المنصبان كانا منصبين إداريّين.[51] ثمّ بعد فتح السلطان سليم الأوّل لشرق وجنوب الأناضول كما ذكرنا سابقًا استحدث قضاء عسكر ثالث للعرب والعجم اتّخذ من ديار بكر مركزًا له وأُلغي بعدَها.[52] وغالبًا ما كان قاضي العسكر يصل إلى رتبة شيخ الإسلام، وتحديدًا قاضي عسكر الأناضول. ويأتي بعد منصب قاضي العسكر منصب قاضي القضاة للمدن الرئيسة في الإمبراطوريّة وهي: إسطنبول، ومكّة، والقاهرة، ودمشق.

ثمّ في مرتبة تالية، يأتي المدرّسون في المدارس الأساسيّة في السلطنة، وتحديدًا مدارس إسطنبول. إنّ المدرّسين الأكثر تقدّمًا من حيث الخبرة ينتقلون ضمن نظام "العلميّة" إلى مناصب قضائيّة تأتي في أسفل الهرم القضائيّ، كقضاة مساعدين للقاضي الرئيس للمدينة أي لقاضي القضاة. تضمّن الجسم القضائيّ الدينيّ تسلسلًا متعلّقًا بالقضاة أنفسهم: فلكلٍّ من قضاة المدن الأساسيّة المذكورة سابقًا نجد مستشارين قانونيّين (من العلماء) من مُفتي المذاهب التالية: المالكيّة، والحنبليّة، والشافعيّة، والذين تولّوا مناصب إقليميّة صغرى. وغالبًا ما يكون قضاة

[51] صابان، *المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة*، 174.

[52] نفسه، 175.

المدن الأساسيّة الآنفة الذكر من الحنفيّة.[53] كان الخفاجيّ من أتباع مذهب أبي حنيفة، وهذا ما سهّل تقرُّبَه من السلطان مراد وحصولَه على المناصب القضائيّة في الروم ايلي.

أصبح الشهابُ جزءًا من النظام القضائيّ خلال زيارته لإسطنبول في المرّة الأولى وفي ما بعد هذه الزيارة حتّى آخر حياته. ولكنّه لم يذكر وما ذكرَ المحبّي ولا حاجي خليفة إن كان قد درّسَ في أيٍّ من المدارس في القاهرة أو إسطنبول ضمن نظام "العلميّة،" أي أنّنا لا نعرف تَسَلسُلَ التحاقِهِ بنظام العلميّة إن كان قد بدأ بالتدريس أم لا، لأنّ اعتمادًا على ما ذكرناه سابقًا في تفصيل هذا النظام، فالمدرّسون الأكثر خبرة ينتقلون إلى تولّي مناصبَ قضائيّة،[54] ولكن من المؤكّد أنّه بدأ مسيرته القضائيّة بعد ارتحالِهِ إلى إسطنبول في المرّة الأولى وممّا لا شكّ فيه أنّ كونَه حنفيًّا قد ساعده في هذا. واللافت هنا أمر تحوّل الشهاب إلى الحنفيّة بيدَ أنّ والده كان من الشافعيّة، فهذه من الأمور التي قد تشير إلى أنّه ابتغى الالتحاق بالنظام العلميّ في السلطنة والسعي وراء المكسب، ثمّ إنّه رأى هذا من زاوية التوافق المذهبيّ مع نظامها.

يبدو أنّ الشهاب اتّجه إلى إسطنبول أيضًا بعد أن "ذَبُلَ عيشُهُ" في مصرَ كما يذكُرُ في المقدّمة، وقد يكون هذا إشارةً إلى عدم رضاه عن مقامِهِ فيها فلم يذكُر هو ولا أحدٌ من المؤرّخين أنّه حصّل قبل سفره إلى إسطنبول أيّ منصبٍ في تلك الفترة. ثمّ بعد سفره إليها للمرّة الأولى تولّى منصب قاضٍ في بلاد روم ايلي، وترقّى حتّى حصل على قضاء إسكوب، فاشتهر وعُرف "بالفضل الباهر" كما يقول المحبّي، فتقرّب من السلطان مراد الرابع (ت 1640م) فولّاه قضاء سلانيك. ويقول العالم الحلبيّ أحمد ابن النّقيب (ت 1646م) إنّه لَقِيَ الشهاب مرّتين في إسطنبول، الأولى عام 1613م والثانية عام 1629م ويذكر أنّ الشهاب كان في أحسن أحواله في ذلك

[53] For more see:
Madeline C. Zilfi, *The Politics of Piety: The Ottoman Ulema in the Post-Classical Age (1600-1800)* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, c1998), 23-42.

[54] تُساعِدُنا وثائق التعيين في المدارس العثمانيّة في الكشف عن هذه التفاصيل وحلّ مسألتها، وهذا أيضًا سيكون جزءًا من بحثنا المستقبليّ.

الوقت.[55] ثمّ بعدها تولّى الخفاجيّ قضاء العساكر بمصر، وهو منصب قاضي الجيش أي العساكر، ومهمّته حلّ "المسائل القانونيّة والفقهيّة التي تنشأ بين أفراد الجيش."[56] ليعود بعدها إلى الروم رحلته الثانية وعلى إثر خلافه مع شيخ الإسلام يُعزل[57] من منصب قاضي العساكر ويُعطى قضاء في مصر يعتاش منه كما أشار المحبّي. إنّ الإشارة إلى أنّه أُعطِيَ قضاءً يعتاش منه، لا تَنِمُّ عن أنّ الخفاجيّ الحنفيّ قد أُعطِيَ منصبَ قاضي القضاة في مِصر–القاهرة أو قضاءَ مدينةٍ حتّى، وإلّا ذكرها المُحِبّي، بل قد يكون هذا إشارةً إلى أنّه أخذ منصِبَ قاضٍ حنفيٍّ مساعِد لقاضي القضاة.[58]

3. دراسات القرن السابع عشر:

بجانب تولّيه مناصب قضائيّة عدّة، عاش الخفاجيّ مرحلةً من تقلّب الرأي بشأن العلماء والحكم في السلطنة العثمانيّة، وتحديدًا بعد أن تسلّم قضاء العساكر بمصر وعاد إلى الروم رحلته الثانية ليشتكي للوزير ازدراء الأمور كما يقول، ثمّ لهذا السبب تمّ نفيه بعدها وعاداه من كان في مراكز السلطة. حصلت أثناء القرن السابع عشر تحدّيات عدّة لسير الحكم ولتنظيم الحياة في السلطنة، ولسنا بصدد نقاشها هنا في سبيل الحكم عليها بقدر ما نحاول عبر ذكرها إعادة بناء اللحظة التاريخيّة التي يمكن لها أن تفسّر لنا موقف الخفاجيّ

[55] See: Ralf Elger, 'Al-Khafājī, Shihāb Al-Dīn'. In *Encyclopaedia of Islam, THREE*, edited by Kate Fleet, Gudrun Krämer, Denis Matringe, John Nawas, and Devin J. Stewart. Accessed January 9, 2024. http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_ei3_COM_35421.

[56] صابان، ، *المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة*، 174. الفارق بين قاضي العسكر وقاضي الجيش هو: أنّ قاضي العسكر كان يصحَبُ السلطانَ إن شارك في حربٍ أو غزوةٍ، وإن لم يفعل فيبقى معه في حين يُرسِل نائبًا له يُسمّى قاضي الجيش.

[57] انظر: *الريحانة* 330/2.

[58] وهذا الجزء أيضًا يحتاج إلى الاطّلاع على وثائق التعيين والعزل لإثباته.

المتمثّل بتبدّل الرأي من أقصى الاعتراف بالفضل إلى درجة اتّهام العلماء بأنّ أحدًا منهم لا يحسن قراءة الفاتحة. ولكنّنا قبل أن نطرح هذه التحدّيات التي قد تكون سببًا في تبدّل رأي الخفاجيّ، وجب أن نبيّن ما يلي: علينا أن نعي أنّ التبدّلات في ديموغرافيا المجتمع ونظامه تولّد حالًا من النوستالجيا في غالب الأحيان، أي الحنين إلى الماضي، فإنّ العودة إلى ذكر الماضي والتغنّي به ليست بالضرورة دليلًا على أنّ التبدّلات الحاصلة، والتي تعيد الفرد إلى الحنين لصورة الماضي، دليلٌ على تراجع أو انحطاط الفكر أو غيره وإنّما يمكن أن تكون ظروفًا جديدةً لمرحلةٍ جديدةٍ، تحتاج إلى عامِل الوقت لكي تنضج فيُحسَنُ الحُكمُ عليها. كما أنّنا نعلم أنّ موقف الخفاجيّ قد يكون إظهارًا لأهدافٍ خاصّة، وقد تكون انتقاميّة، بعد أن نُفيَ إذ كتب رسالةً إلى بعض رؤساء القسطنطينيّة ذمّ فيها نفيَه، وبعد أن أعرضَ عنه مفتي إسطنبول ألّف مقامةً سمّاها المقامّة الرومية تعرّض فيها للمفتي، وقد ذكر المحبّي أن السبب في هذا الإعراض هو أنّ الخفاجيّ قد مارس شيئًا من الطمع وحصّل مالًا كثيرًا،[59] فهذا ممّا يدعو إلى التروّي في الحكمِ على ردّات فعله خاصّةً أنّه قد عاش تبدّلَ الرّأي هذا بعد عهد السلطان مراد (ت 1640م)، والذي كما تشير المصادر التاريخيّة، كان نفسه مسبوقًا ومليئًا بالتحدّيات.

وفيما يتعلّق بهذه التحدّيات التي كانت تعيشها السلطنة في القرن السابع عشر، فتُظهِرُ مادلين زيلفي أيضًا بعضَ جوانبِها، وهي عديدة حسب ما تضعها: كان القرن السابع عشر مليئًا بالحروب المنهِكَة للجيش العثمانيّ، كما أنّه شهد على الكثير من هجرة الناس من الأرياف إلى المدن، وهذا ما شكّل ضغطًا على هذه المدن، كما أنّ هذا جاءَ مصحوبًا بانتشار الأوبئة وحدوث التضخّم الماليّ وارتفاع الضرائب. وأثناء كلّ هذا، فقد تعاقب على الحكم في القرن السابع عشر تسعة سلاطين حيثُ كانت دائمًا فترة حكمهم مليئة بالتحدّيات، ونذكر منها: شهدت السلطنة مقتل السلطان عثمان الثاني (1618 – 1622م) على يد حرّاسه، ثمّ شهدت على حكم ابن

[59] انظر: *خلاصة الأثر*، 334/1.

الإثنَيْ عشر عامًا السلطان مراد الرابع (1623 – 1640م)، فقد كانت مقاليد الحكم بيد أمّه السلطانة كوسم، إلى أن استلم الحكم وعافر مع ثورات الإنكشاريّة[60] والفوضى في البلاد، وتُوُفّيَ وهو في التاسعة والعشرين من العمر. ثمّ شهدت السلطنة بعده على حكم السلطان إبراهيم الأوّل (1640 – 1648م)، والذي كان يقضي معظم وقته في الحرملك / "harem." تشير زيلفي إلى أنّ الاضرابات الحاصلة بين الناس آنذاك قد أثّرت في الوقت نفسه على سير العمل المؤسّساتيّ في السلطنة، ولا سيّما مؤسّسة العلميّة بشهادة كُثُرٍ، كشهادة القاضي البوسنيّ حسن الكافي (تـ 1616م). كما وتشير زيلفي إلى أنّ مكانة العلماء على امتداد هذا القرن قد تراجعت، كما أنّهم خسروا منْ دعمِ الناس لهم.[61]

أضف إلى ما سبق، ففي دراسةٍ للمؤرّخ بيرنارد لويس يناقش فيها موضوع الانحطاط في الدولة العثمانيّة، والذي اخترنا أن نجد مساحةً ندرس فيها إنتاج هذا القرن بعيدًا عنه، يشير لويس إلى أنّ أزمة نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر أدت إلى ظهور رسائل عدّة من قبل أشخاص في السلطنة تشير إلى التحدّيات في تسيير شؤون الحكم فيها، ولا بدّ لنا أن نذكرها هنا: يهتمّ لويس بتجربة "قوجو–بي" الذي تجنّد لصالح الإنكشاريّة وعمل في السراي، ثمّ أصبح مستشار السلطان مراد الرابع (1623–1640م)، بحيث نصح "قوجو–بي" السلطان مراد بكيفيّة التعامل مع الخلل الذي أدّى إلى إضعاف السلطنة عمّا كانت عليه في عهد السلطان

---

[60] يعالج جمال كفدار الفكرة القائلة بأنّ تراجع الإنكشاريّة هي أحد مظاهر الانحطاط الأساسيّة في السّلطنة: والّتي تشير إلى أنّ الإنكشاريّة بدأت تتراجع في نهاية القرن السادس عشر بعد أن كان الجنود منصرفين نحو القتال والعسكر والمحاربة من أجل السلطنة، ثمّ بدؤوا بالانخراط في أعمال تجاريّة ومربحة. يرجع كفدار إلى فكرة أنّ التمييز الّذي كان موجودًا بين الرعيّة والعسكر لم يكن بالضرورة يمنع الأعمال التجاريّة عن العسكر، ثمّ إنّ هذا الانخراط العسكريّ في أعمال التجارة لا يمثّل تحوّلًا وسببًا من أسباب الانحطاط.

For more see:
Cemal Kafadar, "On the Purity and Corruption of the Janissaries." *Turkish Studies Association Bulletin* 15, no. 2 (1991): 273–280.

[61] See: Zilfi, *The Politics of Piety*, 23-40.

سليمان القانوني: من ناحية العلماء، والخدم، والاقتصاد، وغيرها. كذلك يهتمّ لويس بتجربة مصطفى بن عبدالله (1608–1657م) والمعروف بكاتب جلبي وحاجي خليفة والذي تولّى عدّة مهامّ في وزارة الاقتصاد. فبعد الاجتماع الذي دعا له السلطان محمّد الرابع (ت 1693م) عام 1653م من أجل البحث في عدم التوازن بين مدخول السلطنة ومصروفها: يضع كاتب جلبي أسباب هذه الأزمة الاقتصاديّة وسبل الخروج منها كونه أحد الاقتصاديّين الذين تولّوا مهامّ اقتصاديّة عدّة. كان لكاتب جلبي نظرة أمل في النجاح، يقول لويس. تشير تجارب هؤلاء الأشخاص إلى نوع من التوتّر في الإدارة وسير العمل المؤسّساتيّ لا سيّما حول دور العلماء والاقتصاد وحسن إدارة الموارد في السلطنة.[62]

أضف إليه، فلم يخلُ الأمرُ أيضًا من التشنّجات الدينيّة في القرن السابع عشر: تشير زيلفي إلى أنّ في الوقت الذي قد بانت فيه عدم السيطرة على أمور الحكم بين العلماء ومنهم، آنذاك في الوقت الذي كانت فيه التحدّيات تعصف بالسلطنة، حصل تباين كبير بين العامّة من الناس والعلماء في مواقع المسؤوليّة. ويبدو أنّ الطرُقَ الصوفيّة حينها بدأت تملأ تلك الشروخ الدينيّة في السلطنة، فقد انتشرت وأدّت إلى إبراز الكثير من الشخصيّات التي ادّعت القداسة، ممّا أدّى إلى حالةِ رفضٍ للعلماء العثمانيّين من قبل الناس وخاصّةً الأورثوذوكسيّين المتشدّدين منهم.

أثار هذا الأمر حفيظة الحكّام، وخافوا من تحريك الناس من قبل المتصوّفة، فدعموا بعض الطُرُق التي كانت تدعو إلى ضبط النفس، والصبر، والأخوّة السنّيّة، والرزانة، وغيرها إلى حدّ أنّ بعض شيوخ الطرق تمتّعوا بالحماية الرسميّة من السلطنة. وقد ظهر في القرن السابع عشر أتباعُ "قاضي–زاده" Kadizadelis[63] بحركة

[62] See: Lewis, "Ottoman Observers of Ottoman Decline," 71–87.
[63] See: Zilfi, *The Politics of Piety*, 23-40.

تغييريّة وكان لهم تأثير كبير على مكانة العلماء والصوفيّة في آن، حيث عارضوا ما سمّوه "البدع الصّوفيّة" وممارساتهم كما أنّهم رفضوا الإيمان الشائع بين العامّة. إنّ كلّ هذه النزاعات أدّت إلى تحديد شكل الخطاب الدينيّ في القرن السابع عشر، ممّا جعل هذه الفترة في توتّرٍ دائم.[64]

4. الإشكاليّة والسؤال البحثيّ

وبالعودة إلى مسيرة الشهاب، والتي حاولنا أن نضعها ضمن سياقها التاريخيّ والأدبيّ ذاكرين تقاطعاتها مع الحقلين السابقين، فقد اطّلعَ الشهاب خلال هذه المسيرة على كمٍّ كبيرٍ من الإنتاج الأدبيّ، وهذا لأنّه أوّلًا، نشأ في كنف والده الذي أدّبه وأغنى علمه، وثانيًا لأنّه تتلمذ على يد كثر من علماء عصره، وثالثًا لأنّه ارتحل ممّا أفضى إلى اتّساع دائرة معارفه وأدّى إلى لقائه بالأدباء من مختلف بلاد العالم الإسلاميّ. ورابعًا لأنّه تولّى عدّة مناصب ومهامّ رسميّة أوسعت شهرته وزادت رفعته وجعلت منه محطّ أنظار العلماء والأدباء. وقد كان ضمن اطّلاعه على الكمّ الأدبيّ تبادُلُ الأدبِ مع غيره وتذوّقه وتلقّيه منهم ومن الرواةِ أينما حلَّ وجمعه والاحتفاظ به، وهذا ما أدّى إلى تجميع مادّةٍ أدبيّةٍ بمعنى الجمع المادّيّ من مصادرَ مختلفة تعكس سياقات متعدّدة اجتماعيّة وتاريخيّة وأدبيّة. فقد أتى الجمع في *الريحانة* مركّبًا من أكثر من نوع أدبيّ مثل الشعر والمقامة والسيرة، مرتبة من خلال منطق ارتحال جغرافي من ناحية ومنطق تأريخ للذات في ارتحالها من ناحية أخرى وهو ما فرض علينا النظر في التقاطع الحاصل في النصّ بين التاريخيّ (الشخصيّ/المهنيّ) من جهة والنصّيّ من جهةٍ أخرى. وممّا يزيد من أهميّة السؤال عن التقاطع الحاصل بين مجالَي التاريخ والأدب وعن "منطق الجمع" في الكتاب، هو أنّ هذا المؤلَّفَ كان قد وضعَهُ الخفاجيّ بنسخةٍ سابقةٍ عنوانُها *خبايا الزوايا فيما في*

[64] Madeline Zilfi, "The Kadizadelis: Discordant Revivalism in Seventeenth-Century Istanbul." *Journal of Near Eastern Studies* 45, no. 4 (1986): 251–69.

الرجال من البقايا، وهو الكتاب الأوّل وأصل كتاب *ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا*، كما يذكر الشهاب في مقدّمته، ثمّ في إعادة ترتيب هذا الكتاب نتج مؤلَّفهُ *ريحانة الألبّا* الذي نحن بصدد التعرّف إليه أكثر. وفي تأكيد ما سبق، الخبايا أصلٌ للرّيحانة، يذكر المحبّي (ت 1699هـ) أيضًا في مؤلّفه *خلاصة الأثر* أنّ والدَه قد اجتمع بالخفاجيّ في مصر وأخذ عنه "أصل" *الريحانة* وهو كتاب *خبايا الزوايا*.[65]

يتقاطع الأدب بمعنى الشعر والنثر مع التجربة الشخصيّة كما ذكرنا سابقًا في مؤلّف الشهاب، وهذا ممّا يجعل هذا النصّ يجمع ما بين أنواع أدبيّة مختلفة، بالمعنى الواسع للأدب، التاريخ والتاريخ الشخصيّ والمختارات الأدبيّة والمقامة. وسؤال الرسالة البحثيّ بناءً على ما ذكرناه آنفًا: كيف يتمّ الجمع—وهنا أقصد الجمع بالمعنى الذي شرحته آنفًا—بين تلك الأنواع الأدبيّة المختلفة في شكل المختارات الأدبيّة؟

نجد إجابة هذا السؤال أكثر ما نجدها في مقدّمة *الريحانة* والتي يقدّم الخفاجيّ فيها منطق الجمع من خلال الخطة التي يضعها للكتاب: تحمل المقدّمة المحاور الناظمة للكتاب ومواضيعه المُتقاطعة ما بين التجربة الشخصيّة والتاريخ والتأليف في المختارات الأدبيّة. أضف إليه، فإنّ المقدّمة تقدّم تأريخًا لتأليف الكتاب نفسه خاصّةً وأنّ الكتاب هو إعادة كتابة لكتاب آخر أو لمؤلَّف سابق للمؤلّف نفسه، ومن ناحية أخرى فهي تقدّم تخطيطًا للكتاب يسمح لنا بفهم طريقة حياكة هذه الأجزاء وفهم علاقتها ببعضها والغرض من جَمعِها في مؤلَّف واحد. وبناءً على ما تقدّم، نقدّم في رسالتنا قراءةً لمقدّمة الكتاب مستعينين بدراسات الحقلين الآنفي الذكر، مبيّنين ما يلي: المواضيع الناظمة للريحانة الواردة الذكر في المقدّمة، وكيفيّة انسحابها على الكتاب، مع الإشارة إلى ما لم يتمّ ذكره في المقدّمة بيدَ أنّه واردٌ في أقسام الكتاب مثل بعض المصادر التي استقى منها المؤلّف مادّة كتابه. أيضًا نشيرُ إلى الأهداف التي ذكرها المؤلّف في المقدّمة والتي بيّنها في فصولٍ وأقسام ضمن

[65] *خلاصة الأثر*، 334/1.

كتابه. وارتأينا أن نقسّم الرسالة إلى فصولٍ قصيرة يعتبر كلٌّ منها خطوة باتّجاه فهم خطّة الكتاب، حيثُ يُظهر مثلًا الفصل الأوّل ثلاثة مستويات لتعريف الأدب عند الشهاب، والفصل الثاني يبيّن تأثير هذا التعريف على عمليّة الإختيار الأدبيّ للأدباء في النصّ، والفصل الثالث يتحدّث عن تجربة الجمع الجغرافيّ عند الشهاب ويبيّن ما لاحظناه من غياب لذكر المجالس الأدبيّة والتي كما نعرف لعبت دورًا هامًّا في لقاءات العلماء في ما قبل 1516م وبعدها. وأمّا في الفصلين الرابع والخامس فنظهر صوت المؤلّف وذكره لتجربته الشخصية والأغراض التي جمعها مع أدب العصر في كتابه.

الفصل الأوّل: في تعريف الأدب

سافر كثُرٌ من العلماء المسلمين طلبًا للعلم والمعاش، وسعيًا وراء المزيد من البحث في مواضيع طالما شغلتهم واهتمّوا بها.[66] وقد اختلف سفرهم باختلاف ظروف الأزمنة التي عاشوها، فتعاقُب الدول والخِلافات واختلاف أنظمة الحكم داخل هذه الدول أدّى إلى اختلافاتٍ في تجارب العلماء، وهذا شيء طبيعيّ إذ نراه يتغيّر بين فترة ما قبل الإسلام وما بعده، وبدءًا من عصر الدولة العبّاسيّة ووصولًا إلى زمن الإمبراطوريّة العثمانيّة.[67] إنّ سيرة الخفاجي هي استمرارٌ لسفر العلماء ولكنّها في الوقت عينهِ جزءٌ من التغيّر الذي طالما لحق بهذا السفر وتفاصيله، وفي ما يلي نعرض مسألة سفر العلماء في عصر الدّولة العثمانيّة، وكيف أثّر ذلك على تجربة الخفاجيّ وجمعه مادّة *الريحانة* مبيّنين التأثير المعرفيّ للارتحال والعلاقات الشخصيّة في جانب التأليف في الاختيار الأدبيّ. سافر من مصرَ خلقٌ كثيرٌ في ما بعد الحرب التي جرت بين المماليك والعثمانيّين، والتي بدأت عام 1516م، أي في النصف الأوّل من القرن العاشر الهجريّ/السّادس عشر الميلاديّ، بعد دخول السلطان سليم الأوّل (ت 1520م) إلى مصر ومحاربته المماليك فيها إلى أن سيطر عليها بالكامل. سافر أهل مصرَ منها وكان ذلك رغمًا عنهم، فلولا السفر ولولا لطف الله تعالى لفنى أهل مصرَ قاطبةً بالسيف،[68] كما يذكر إبن إياس. ومن جملة من تركوا مصر، علماؤها وأهل البصر والخبرة فيها، وأهل الصنعة من السيوفيّة والصياقلة والسبّاكين والحدّادين وغيرهم كُثُرٌ، ممّن توجّهوا إلى اسطنبول،[69] فيذكر إبن إيّاس إثر ذلك:" ولم

---

[66] الأرفه لي، *فنّ الاختيار الأدبيّ*، 231.

[67] كان الارتحال جزءًا من حياة بعض الشعراء أو الأدباء، فكثرٌ من الشعراء سافروا في المدن ودخلوا البلاطات ومدحوا الأمراء والخلفاء، وهذا لم يكن جديدًا على الشعراء المسلمين بل كان سائدًا أيضًا في فترة ما قبل الإسلام حيث كان الشاعر لسان حال أمّته.

[68] انظر *تاريخ مصر* 3/101–104.

[69] نفسه 3/147، 148.

تقاس أهل مصر من قديم الزمان أعظم من هذه الشدة، ولا سمع بمثلها في التواريخ القديمة، وكان ذلك في الكتاب مسطورا، ففارقت الناس أوطانهم وأولادهم وأهاليهم، وتغربوا من بلادهم إلى بلدٍ لم يطئوها من قبل، وخالطوا أقواما غير جنسهم."[70] تبحث هيلين فايفر في العلاقات العربيّة العثمانيّة بين العلماء في ما قبل وبعد عام 1516م. لم يكن لقاء العلماء العثمانيّين والعلماء العرب "في ما بعد 1516م" الأوّل تاريخيًّا، إذ كان العلماء العثمانيّون يكملون دراستهم في بلاد فارس والبلاد العربيّة في القرنين الرابع والخامس عشر نظرًا لعدم اكتمال النظام التعليميّ في السلطنة العثمانيّة لذلك فقد قدم الكثير منهم قبل 1516م إلى الأراضي العربيّة:

- في المدن كدمشق والقاهرة، كان التلامذة الأروام يجلسون بجانب زملائهم العرب أثناء الدروس في المجالس.
- استفاد بعض الأروام من التقارب اللغويّ بين العثمانيّين والنخبة الحاكمة من المماليك. وقد حضر هؤلاء إلى مجالس البلاط الامبراطوريّ في القاهرة، من أجل الترجمة للسلطان المملوكيّ وأعوانه، أو من أجل تقديم المشورة، أو لدواعٍ أخرى كالحضور من أجل الاستفادة من المجلس.
- وفي حصيلة ارتحالهم في الأراضي العربيّة، فقد حضر الأروام إلى المجالس المحلّيّة لكبار العلماء المحلّيّين.

ومن ناحية العلماء العرب، نادرًا ما انضمّ العلماء العرب إلى مجالس العثمانيّين في ما قبل الدخول العثمانيّ إلى المناطق العربيّة، بسبب الارتحال القليل للعلماء العرب إلى بلاد الروم أثناء تلك الفترة.

وأمّا علاقات العلماء العثمانيّين والعلماء العرب في ما بعد 1516م، فقد تبدّلت بسبب تبدّل طبيعة الارتحال واتّجاهاته بعد الدخول العثمانيّ إلى مصر وبلاد الشام. فمع إدخال الأراضي العربيّة ضمن النظام العدليّ

[70] نفسه 148/3.

القضائيّ والإداريّ في السلطنة، بدأت مجموعتان من النخبة بالارتحال من مركز الإمبراطوريّة إلى المقاطعات وضمنها: وهما مجموعة العلماء العرب، ورؤساء القضاة (قاضي القضاة). واجهَ العلماء الأتراك في تلك الفترة بعض الصعوبات في بادئ الأمر منها مجاراة المستوى العلميّ للعلماء الذين كانوا في مقاطعاتٍ تحت سيطرتهم، ثمّ ما لبثَ هذا الأمر أن تبدّل بسبب تقارب النسيج الفكريّ لمجموعتَي النُخَب أكثر، ويعود الفضل في هذا إلى المجالس والصالونات الأدبيّة.[71]

إنّ سفر أهل مصر إلى إسطنبول والأناضول وغيرها من أراضي السلطنة إثر الحرب أدّى إلى انتشارهم وإقامتهم فيها، ممّا جعل من عمليّة التنقّل في أراضي السلطنة أمرًا مألوفًا لدى الناس، وحثّ العلماء على الاكتشاف والمخالطة أكثر بحيث أصبحت تلك المناطق جزءًا من الوجود العثمانيّ العربيّ في آنٍ معًا.[72] مثلًا يذكُرُ بدر الدين الغزّيّ (ت 1577 م)، الرحّالة الدمشقيّ، في رحلته إلى إسطنبول أنّ عالمًا يُدعى

---

[71] قبل منتصف القرن السادس عشر، أي قبل ظهور القهاوي coffeehouses كانت التجمّعات أو كما تدعى المجالس هي الفُسحة الأهمّ للتبادل الاجتماعيّ والثقافيّ على امتداد أراضي العالم الإسلاميّ ككلّ. كان "المجلس" مصطلحًا منتشرًا ومعروفًا في العثمانيّة والعربيّة وعلى امتداد الأراضي من الأندلس إلى بلاد فارس، وكان يعني أمرين اثنين: أوّلًا مكان الجلوس حيث تجري الاجتماعات، وثانيًا التجمّعات نفسها التي تحمل عدّة مناسبات. بشكل عامّ، يرجع الفضل لهذه المجالس في تجمّعات النخبة المسلمة في القرنين السادس والسابع عشر. وبطبيعة الحال اختلفت الممارسات المتعارف عليها والمباحة في المجالس باختلاف البقعة الجغرافيّة التي هي فيها، كذلك هو الحال بالنسبة للتركيز على الموضوعات الثقافيّة المطروحة فيها: بين Tahtakle وقصر Topkapi وصوفيا والاسكندريّة: مجلس العلم (تجمّعات العلماء)، ومجلس الأُنس (تجمّعات الصُحبة).

وفي العموم، يمكننا اعتبار هذه المجالس هي تجمّعات يحضرها الرجال المسلمون ذوو المكانة الاجتماعيّة المرموقة بدعوات تُوجّه إليهم في سبيل التبادل الاجتماعيّ والثقافيّ. وعلى إثر هذا، فقد ظهرت أهمّيّة هذه المجالس في الإنتاج الأدبيّ المكتوب: من الشعر، إلى أدب الرحلة، إلى معاجم التراجم العربيّة والتركيّة.
أضف إلى أنّها كانت مساحةَ تجمُّعٍ لنخبة المدينة الواحدة، فإنّ هذه المجالس كانت مقصد العلماء العثمانيّين في السفر، فإنّها من أوّل الأمور التي يسأل عنها العالم العثمانيّ إثر نزوله في المدينة، فينضمّ إليها.

[72] للمزيد انظر:

عبد الرحيم العبّاسيّ[73] استقبله في منزله في إسطنبول، والجدير بالذكر هو أنّ العبّاسيّ قد وُلد بالقاهرة، وهو من سكّان إسطنبول.[74] فهذا مثالٌ على أنّ العلماء العرب سكنوا إسطنبول وأَلِفوا الإقامة فيها، والسفر إليها، ولقاء بعضهم أيضًا. إذًا انسحب السفر والارتحال ضمن أراضي السلطنة على علماء القرنين السادس والسابع عشر الميلاديّين، والشهاب الخفاجيّ (ت 1659م) واحدٌ من الذين سافروا طلبًا للعلم وسعيًا وراء العمل واقتناء الأدب وجمعه واقتناص شوارده، كما يذكر في المقدّمة.[75]

إنّ سفر الشهاب ضمن مقاطعات السلطنة، وتحديدًا إلى بلاد الروم، كان له أثر كبير في عمليّة التأليف. إذ من ناحية تبادل الأدب ولقاء الأدباء، فقد فتح الارتحالُ بابًا استقى منه الشهاب مادّةً للكتاب وذلك من الجغرافيا الواسعة التي نزل بها. أضف إليه، فإنّ السفر أدّى إلى دخول الشهاب النظامَ القضائيّ في السلطنة، ممّا أخذ بالأمور في ما بعدُ إلى النزاع بينه وبين شيخ الإسلام، فألّف مقامةً فيه وكتب رسالةً إلى رؤسائها، فجمعها الشهاب مع أدب العصر في ريحانته. علاوةً عليه، فإنّه يجمع في كتابه مع ما سبق وذكرناه بعضًا من سيرته في الهجرة من مصر والارتحال عنها والعودة إليها. فلذلك كان للسفر أثر كبير في عمليّة التأليف إذ أخذ التأليفُ في المختارات الأدبيّة شكلًا فريدًا عند الشهاب تمثّل بالجمع بين أنواع أدبيّة مختلفة في مؤلّفٍ واحد يسجّل فيه أدب العصر. وتشير مقدّمة *الريحانة* إلى هذه التجربة الجامعة بين الأنواع الأدبيّة المختلفة عبر عرضها لخطّة الكتاب، إذ نرى تفاصيل هذه المقدّمة قد انعكست بأقسامٍ وفصولٍ في النصّ ذاته.

Pfeifer, "Encounter after the Conquest: Scholarly Gatherings in 16th-Century Ottoman Damascus," 219-39.

[73] ذكره الخفاجيّ. انظر: *الريحانة*، 2/60–66.

[74] انظر: مقدّمة المحقّقين عبدالرحيم أبو حسين وطارق أبو حسين في:

بدر الدين الغزّيّ، *المطالع البدريّة في المنازل الرومّيّة*، تحقيق عبدالرحيم أبو حسين وطارق أبو حسين، (غرفة تجارة استنبول، 2016)، 12.

[75] انظر: *الريحانة*، 1/4.

سجلت المقدّمة الإطارَ الزمنيّ لتأليف الكتاب، فوجدنا أنّ الشهاب لم يقرّر في بادئ الأمر أن يضعَ مؤلَّفًا في المختارات الأدبيّة عنوانه *ريحانة الألبّا*، إنّما كان التأليف في مراحل زمنيّة مختلفة. جمع الشهاب مادّةً خلال رحلاته وصنع منها كتابًا بعنوان *خبايا الزوايا*، ثمّ إنّ هذا الأخير قد صارَ في ما بعدُ أصلًا لكتاب *الريحانة*، وذلك بعد أن اختار الشهاب مادّةً من مادّته وعدّل عليها وأعاد ترتيبَها. فهذا حرفيّة ما ورد في المقدّمة لجهة الإطار الزمنيّ للكتاب:" فلا سمير لى أجالسه ... سوى أوراق ... فجمعت منها ... فلرُبَّما نُثِرَ العِقْد المُفصَّل ، ليعود أحسنَ في النِّظام وأجْمل. فهذه ذخائر من "خبايا الزّوايا ، فيما في الرّجال من بقايا"..."[76] إنّ اختيارَ الشهاب لمادّةٍ من كتابه القديم وإعادة ترتيبِها أمرٌ واضحٌ، وهو بذكر هذا ضمن مقدّمته فيعيد ترتيب المادّة في ضوء التجربة الشخصيّة والتأريخ للذات. ثمّ إنّنا لاحظنا أيضًا بعد الاطّلاع على مخطوطٍ للخبايا نشرَهُ موقع "كتاب بديا" وعليه ختم ثلاث مكتبات: مكتبة الملك فهد، ومكتبة السعوديّة بالرياض، ومكتبة التيسير، وهو من توزيع مكتبة التيسير –فرع الظهيرة الرياض كما يشير الختم، أنّ الشهاب قد أضافَ مادّةً إلى *الريحانة* لم يذكرْها في *الخبايا*، كما أنّه تغافل في مؤلّفه الجديد عن مادّةٍ أوردها في أصل هذا المؤلَّف. ثانيًا، ذكر الشهاب في مقدّمة كتابه في القسم الأخير مسألة نفيه، حيثُ نُفيَ وأُعطيَ قضاءً يعتاشُ مِنهُ في المرحلة الأخيرة من حياتهِ، لذا فإنَنا نستنتج من هذا الكلام أنّ الكتابَ كانَ لم يُنجَز بعدُ في ما سبق فترة نفيهِ، ولا شكّ أنّه أُنجِزَ خلالَ هذه المرحلة الأخيرة من حياة الشهاب. وبناءً على ما تقدّم، نستنتج أنّ الإطار الزمنيّ لهذا الكتاب يشبه إطار التجربة التي عاشها الشهاب، وهذا ما يشير إلى اختلاف وتنوّع وامتداد البُنى المعرفيّة التي تحرّك منطق التأليف والجمع في *الريحانة* وتجعله مركّبًا من أكثر من نوع أدبيّ مثل المختارات الأدبيّة، والتاريخ، والسيرة، والمقامة وغيرها اعتمادًا على تقاطع الدوائر المعرفيّة والاجتماعية التي شغلها المؤلف. إنّ منطق الجمع هذا

[76] نفسه، 1/10-11.

يستدلّ على محاوره الناظمة من خلال المقدّمة الجامعة للإطار الزمنيّ لعلمية التأليف وإعادة التأليف ولخطّة الكتاب. وعليه، سنقوم الآن بتفنيد المقدّمة شارحين ما ورد فيها من تخطيط ومُشيرين إلى انسحاب هذا التخطيط على كامل الكتاب، منبّهين إلى ما لَم يتمّ ذكرُهُ في المقدّمة بشكل واضح، لنخلص إلى استنتاجاتٍ تساعدُنا في فهم المنطق الذي يشرح فيه الخفاجيّ الروابط بين أجزاء *الريحانة* والذي بدوره يساعدنا في إلى الإشارة إلى مقاربة رسالتنا للتأليف في المختارات الأدبيّة عند الشهاب.

تبدأُ المقدّمة بالبسملة والحمدلة والإشارة إلى العنوان، فالصلاة على رسول الله (ص)، فعلاقة المؤلّف بالأدب، فمداومته على جمعه، فاختياره تسجيل أدب عصره كما فعل صاحب *اليتيمة* وغيره من الأدباء، فالارتحال شرقًا وغربًا، فالكلام على تجربته إثر تولّيه القضاء، فالنفي والعودة إلى مصر، فالشروع في ترتيب مادّة *خبايا الزوايا* والتأليف في *الريحانة*، فذِكر المصادر التي استقى منها الأدب، ثمّ العودة إلى تسمية الكتاب والكلام على ختامه، فدعاء التيسير. وبعد المُقدّمة، يقسِّمُ المؤلِّفُ كتابَهُ إلى أربعة أقسام: القسم الأوّل خصّصه لشعراء الشام، والقسم الثاني لشعراء المغرب (المغرب، وشعراء مكّة، واليمن)، والثالث لشعراء مصر، والرابع لشعراء الروم (الروم، وفصل في بيان أحوال الروم وانقراض علمائها)، والقسم الأخير لبيان حاله، وختامُهُ ذكرُ شعراءٍ من أعلام الأدب واختيارات أدبيّة من دواوينهم.

1. العنوان

بدّل المؤلّف عنوان كتابه" *خبايا الزوايا، فيما في الرجال من بقايا*" بـ" *ريحانة الألبّا، وزهرة الحياة الدنيا*" وهذا أمرٌ لافِتٌ تطرّق إليه المؤلّف قُبيل إنهاء المقدّمة. تناول الخفاجيّ عنوان المؤلَّف مرّتين في مقدّمته مظهرًا معانيه وسبب اختياره. أظهر الشهابُ بعضَ المعاني الدالّة على عنوان الكتاب في الجزء الأوّل من المقدّمة،

ثمّ بيّن سبب تسمية الكتاب عند اختتامها. سننظر إلى العنوان من الناحية اللغويّة ونربطه بدافع التأليف في المختارات الأدبيّة لنفهم المنطق وراء اختياره. فمن حيث اللغة، لقد أُضيفَت كلمة ريحانة إلى كلمة الألبّا، كما وأضيفت كلمة زهرة إلى الحياة الدنيا. وإنّ هاتين الإضافتين تقعان ضمن خانة إضافة النكرة إلى المعرفة، وهي إضافة "معنويّة" تفيد التعريف، وغَرَضُها نسبة إسمٍ لآخر على معنى واحدٍ من حروف الجرّ: من، أو في، أو اللّام.[77] والمعنى الأقرب لعنوان الكتاب، كما سنبيّن في ما يلي، هو: *ريحانة (من) الألبّا وزهرة (في) الحياة الدنيا*. فالريحانة هي الزهرة الفوّاحة بالعطر، والألبّا هم ذوو الألباب/العقول أو العقّال/الأذكياء، حيثُ يعني مصطلح "ريحانة الألبّا" الريحانة التي يشكّل الألبّا أوراقها بمعنى "ريحانة من الألبّا"، ودلالة ريحانة الألبّا هي كتاب الخفاجيّ، والذي جمع الألبّاء من الشعراء المعاصرين له فصار ريحانةً من الألبّاء أي كتابًا يجمع الشعراء بأوراقه. والكتاب هذا يفوح بمختاراته الأدبيّة كالزهرة التي تفتّحت في الحياة الدنيا. فيصبح معنى العنوان: ريحانة من الألبّا وزهرة في الحياة الدنيا.

إنّ تحليل العنوان الوارد أعلاه نفهَمُهُ أيضًا من خلال ما كتبه الخفاجيّ في أوّل مقدّمته، وإنّ علاقة الخفاجيّ بالمكان الجغرافيّ الذي نشأ وارتحل فيه تلعب دورًا في منطق العنوان كما سنبيّن، إذ من خلال هذه العلاقة نستطيع أن نفهم معنى اختياره لهذا العنوان، حيث تبدأ المقدّمة بما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم... حمدًا لمن سرّح عيون البصائر في رياض النّعم، رياض زهت فيها رياحين العقول ، وتفتّحت بنسيم اللّطف أنوار الحكم ، فاجتنت منها أيدي المنى فواكه الأرواح، واقتطفت شقيق الشّقيق من بين

---

[77] "ريحانة الألبّا": ريحانة من الألبّا تعني ريحانة تتألّف من الألبّا – ريحانة في الألبّا تعني ريحانة تقع في الألبّا أو ريحانة في موضوع الألبّا – ريحانة للألبّا تعني ريحانة معطاة/مهداة للألبّا – كذلك بالنّسبة لـ "زهرة الحياة الدّنيا": زهرة من الحياة الدّنيا – زهرة للحياة الدّنيا – زهرة في الحياة الدّنيا. للمزيد انظر: كتاب شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، ص 320–321.

أقاحي الصّباح، والنّدى طرّز برد النّسيم ببلاله، لمّا رأى مجامر الزّهر تحت أذياله. وأشكره شكرًا يطوّق جيد البلاغة نظيم عقوده، وينسج ببنان البيان على منوال البراعة رقيق بروده، على نعمٍ لا تفنى من معادن الوجود جواهرُها، ولا تذوى من خمائل الفصاحة أزاهرها."[78]

تبدأ المقدّمة بالبسملة، وبعدها يحمَدُ المؤلّفُ اللهَ ويشكره، وقد أعمل فكره في طريقة الحمد والشكر دالًّا على عنوان مؤَلَّفِه "ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا" مبيّنًا ما يسعى إليه في كتابه، ألا وهو جمع المختارات الأدبيّة من عدّة أمكنة جغرافيّة كالتالي:

يحمد الخفاجيّ من سرّح عيون البصائر في رياض النعم، إنّ عيون البصائر السارحة في رياض النعم هي عيون الشعراء الذين عرفهم الخفاجيّ فميّزهم بامتلاك البصيرة. فقد سرحت عيونهم في رياض النعم، أي في الأرض المليئة بالخيرات/بالنِعَم، وهذا دليل على الانتشار ونطاق الجغرافيا الواسعة التي يتواجدون فيها ويأتون منها، فزهت فيها رياحين عقولهم: نتيجة لامتلاكهم البصر والبصيرة زَهَت عقولُهم، وبانت لديهم القدرة على إنتاج الأدب والتبصّر بالنعم وإظهارها من خلال ما يؤلّفون وينظمون. فزار الخفاجيّ تلك الأرض، أو ارتحل فيها، والتقى بتلك العقول التي بانَت وازدهرت، لذلك اجتنت منها "أيدي المنى فواكه الأرواح" واقتطفت "شقيق الشّقيق من بين أقاحي الصّباح": أي انتقى الشهاب من شعرهم ما هو كالفاكهة للروح، والأفضل بين الأفضل، وهذا دليل على الاختيار الأدبيّ من إنتاج هؤلاء الأدباء وليس فقط على جمع الأدب، فصار المعنى: كتابٌ جمع ألبّاء الشعر كأنّه ريحانة من الألبّاء، أوراقها الشعراء، تفوح بمختاراتها كزهرة تفتّحت في هذه الحياة الدنيا.

[78] نفسه، 3/1.

وأمّا ما يذكره عن سبب اختيار عنوان الكتاب قبل اختتام المقدّمة بدعاء التيسير، فهو التالي:" فهذه ذخائر من "خبايا الزوايا، فيما في الرجال من بقايا" تنفّس الدّهرُ بها عن نفْحةٍ عنْبَريّة، وهبَّتْ بها أنفاسُه النَّديّة نَديَّة، تنفُّسَ الروض في الأسحار بأفواه العبير عن أفواهِ النَّوْر والأزهار.

يَسْري على رَيْحانِها نفَسُ الصَّبَا سحَـــرًا فيُوهِم أنه ذِكراها

فلذا سمَّيْتُها: (ريحانة الألبَّا ، وزهرة الحياة الدّنيا)

فإنّي شمَمْت بها روائحَ الشَّباب، ونظرت في مِرآتها وُجوهَ الأحباب، وتذكَّرتُ غابرَ الأيّام إذ العيشُ غضٌّ والزمان غُلام، مِن أعلام شُمِّ الأنُوف إن دعى بهم بوّ الصغار تشمَّخ، في غُرَر أيامٍ تُقام بها مواسمُ الدهرِ وتُؤرَّخ."[79]

يُظهر الخفاجيّ أنّ بعضًا من المختارات الأدبيّة في *الريحانة* هي ذخائرٌ من ***خبايا الزوايا***، وقد أعادَ نثرَها وترتيبها لتعود أحسن في النظام، ويقول إنّ الدهر قد تنفّس بهذه الذخائر عن نفحة عنبريّة: تنفّس الدهرُ بها أي أدامَ ذكرَها: دليلٌ على تداوُلِها ودوامِ ذكرها بين الأدباء والعلماء. فهبّت بها أنفاسُ الدهر النديّة، وقد شبّه هذا التنفّس بتنفّس الأرض بأفواه الأزهار عند بزوغ الفجر، تلك الأرض التي يسري على رياحينها نفسُ الصَبا[80] سحَرًا كأنّه ذكرى هذه الأرض: ورياحين الأرض هذه إشارةٌ إلى الشعراء، يجري عليهم/ا الصبا كأنّه يذكّرهم/ا بمجد من مضى. وهذا هو الدافع وراء تسمية الخفاجيّ كتابَه بـ "ريحانة الألبّا ، وزهرة الحياة الدّنيا" فقد جمع فيه الشباب والأحباب من الشعراء المعاصرين وأعاد عبره ذكر من مضوا إضافةً إلى اختيار الخفاجيّ لما يراه من

---

[79] نفسه، 1/12-13.

[80] الصَّبا: ريحٌ تهبّ من مشرق الشّمس إذا ما استوى اللّيل والنّهار. انظر *المعجم الوسيط*.

أفضل الأعمال الأدبيّة لهؤلاء الأدباء، وهذا ما يعيدُنا إلى تعريف الأرفه لي للاختيار الأدبيّ في اعتباره عمليّة "جمع المقاطع الأدبيّة "الأفضل،" أو العبارات المهمّة التي تستحقّ أن تُدوَّن."[81]

ومثل ما يذكر الخفاجيّ عنوان نصّه في المقدّمة، فإنّه يضع في القسم الثالث الذي أعدّه لمصر وسبب العودة إليها سانحةً في تسمية *الريحانة*، والسانحة هي الخاطرة. يعود سبب التسمية كما يقول: أوّلًا، إلى ذكره للشباب الذين "أنبتهم الله نباتًا حسنًا"، وإلى ذكرِه لمن مضوا، وفي هذا الأخير تحديدًا يجعل للسانحة تتمّة يذكر فيها بعض المختارات الشعريّة في وضع الريحان على القبور. وثانيًا، إلى سبب أنّ المحبوب يُشَبَّه بالريحان، دلالة على حبّه لهذا العمل الأدبيّ. وممّا ورد في هذه السّانحة من إشاراتٍ إلى العنوان ما يلي:" ذكرت فيها الأحبابَ ممَّن هو موجود، فكأني بذكره أستنشق بالآذان طِيبَ عطره، وممن هو مفقود، فبالثناء عليه والدعاء كأني أُهدِي له ريحانًا، وأضع في القلوب من طيب أحواله طيبا... وإنّما خصَصْتها بالريحانة لأنها يُشَبَّه بها المحبوب، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين:"هما رَيْحَانَتَايَ"... وإنّما خُصَّ هؤلاء بالريحان، لأن الله أنبتهم نباتا حسنا، غضًّا، طريًّا سريع الزَّوال ولا يُتمتَّع به كغيره...

أو كقوله:

وريحان النّبات يعيش يومًا وليس يموتُ رَيُحانُ المقالِ

فلانَكُ مُوثِرًا ريحانَ شَمٍّ على ريحانِ أسماعِ الرجالِ."[82]

[81] الأرفه لي، مصدر سابق، ص47.

[82] *الريحانة*، 308/1.

2. الصلاة

ثمّ، من بعد شكر الله في بداية المقدّمة على تسريح عيون البصائر في رياض النعم، يُصلّي الخفاجيّ على النبيّ وآله على هذا النحو، لينتقل بعدها إلى موضوع الكتاب:

" ونهدي صِلاتَ الصّلاة لناظم عقد الدّين بعد نَثْره ، المؤيَّد بآياتٍ لا يزال يتلوها لسان الدهر ولو طار نسر السماء من وكره... وعلى آله الذين تفتَّحت لهم كمائمُ المعاقل عن زَهرة النَّصر ، وتحلَّى بعقود عُهودهم جِيدُ كلِّ عصر ."[83] لينتقل بعد هذا إلى موضوع الأدب.

3. موضوع الكتاب

لم يذكُر الخفاجيّ صراحة في مقدّمته معايير اعتمدها في اختيار الأدباء، أي أنّه لم يَخُطَّ هذا بوضوح مشيرًا إلى عدّة معايير ساهمت في اختيارِهِ الأدباءَ. ومع هذا يمكننا أن نستشفَّ تلك المعايير عبر تعريفه للأدب في المقدّمة. فنرى في ذلك التعريف جزءًا من عمليّة اختيار الأدباء في النصّ وسنبيّن هذا في ما يلي.

لتعريف الأدب عند الشهاب ثلاثة جوانب، أوّلها مرتبط بنشأة الخفاجيّ الدينيّة حيثُ يعتبر أدب الذات جزءًا من معايير اختيار الأديب، ويسمّيها المزايا والفضائل. علاوةً على ذلك، فقد لاحَظنا من خلال النصّ جانِبَين آخرين لهذا التعريف أيضًا، الأوّل هو المساهمة في إنتاج العلوم العقليّة والنقليّة، والثاني هو الشعر والنثر ممّا أنتجته التجارب واللقاءات على اختلافاتها، ومنها اللقاءات بالأدباء والسماع منهم وعنهم وغيرها. فينتقل الخفاجيّ بعد الصلاة ليبدأ بموضوع كتابه المختارات الأدبيّة والتصنيف حسب التقسيم الجغرافيّ، كما يلي:

[83] نفسه، 3/1.

"هذا وإنّي قبل أن تُشِيب منِّي الخطوبُ الذّوائبَ، وتصبحَ كبدي وأحشائي بلظَى النَّوائب ذوائبَ، والزمان ربيعٌ، ورَوْض الشباب مَريع، أعُد الأدبَ عنوانَ صَحائفِ الشّمائل، وبيتَ القصيد في ديوان المآثر والفضائل، أنفق نقد عمري في اقتنائه واقتناص شوارده، وأملأ صدَف المسامع مما يستخرج غوّاصُ الأفكار من فرائده، وأشيم بارقةَ السّحر من نفثاتِهِ، وأشُمُّ عبير السّرور من أردان نسماتِه، وأرتشف من طبعي ما ينمّ على سرِّ الزُّجاجة، وأشتَفُّ منه ما أسأرَتْهُ الجُدودُ من ذؤابةِ خفاجة، صبابةَ مجدٍ لم يكدِّرها في جام المشارب وردُ الخطوب، وازدحام الذّوائب."[84]

أ. الأدب عند الشهاب:

يعتبر الشهاب الأدبَ عنوانَ صحائف الشمائل، وبيت القصيد في ديوان المآثر والفضائل. نرى تقاربًا في سياق الكلام عند الشهاب بين مصطلحه "صحائف الشمائل" ومصطلح "صحائف الأعمال". إنّ مصطلح "صحائف الأعمال" يعتبر مصطلحًا فقهيًّا، ويعني الصحائف التي تُدوّن عليها أعمال الإنسان، ثمّ إنّ الشهاب قد استخدم مصطلح "صحائف الشمائل،" والشمائل هي المزايا والصفات التي يتمتّع بها الإنسان. فنرى أنّ التقاربَ يقعُ بين هذين المفهومَيْن في موضوع الصحائف التي تشمل مزايا وأعمال الإنسان الحسنة. إذًا، يعتبرُ الخفاجيّ الأدبَ عنوان صحائف الشمائل، أي عنوان هذه المزايا الحسنة، كما أنّه يعتبره بيت القصيد أي الجزء الأهمّ في ديوان المآثر والفضائل، وديوان المآثر والفضائل هو مجموع الأعمال والمؤلّفات التي يضعها العالم أو الأديب، إذ يقول الشهاب في ترجمته التي خصّصها لنفسه في نهاية الكتاب:" وهنا أتمّم الجواب. فإن أردت ما لي من **المآثر** ، فمن تأليفي: "الرّسائل الأربعون"..."[85] وعليه، فإن كان الأدب عنوانَ المزايا التي يتمتّع بها

---

[84] نفسه، 4/1.

[85] نفسه، 340/2.

الإنسان، فهو يعني حسن السلوك والسيرة، وإن كان الأهمّ في ديوان المآثر والفضائل فهو يعني النتاج العلميّ والأدبيّ من المؤلفات التي يضعها العالم.

تشير المعايير التي يعتمدها الخفاجيّ في عمليّة الاختيار الأدبيّ إلى الجانب الأوّل (السلوكيّ) من الأدب، ووجدناها تحضر بين الصفات التي يكررها في الأبواب التي يضعها للشعراء، فهي جانبٌ من تعريفه للأدب حيث تشير المواصفات التي يذكرها في المداخل إلى الحدود والمعايير التي يراها الخفاجيّ تليق بالأديب وتُعرِّف به، ثمّ إنّها تظهر أدبه على المستوى الشخصيّ والفكريّ.

يشكّل البحث في معايير الاختيار والجانب السلوكيّ في تعريف الأدب عند الشهاب أمرًا هامًّا إذ من خلاله نتمكّن من إلقاء نظرة على المعايير الموجودة في القرن السابع عشر، ثمّ إنّها جزءٌ من هذه البيئة ودالٌّ عليها. فتلعب البيئة والأمكنة دورًا في تكوين المفاهيم لدى الفرد وتنشأته وهذا ما نراه من خلال تأثير المكان والبيئة على تعريف الأدب عند المؤلّف: إنّ نشأة المؤلّفِ ببيئةٍ مسلمةٍ سنّيّةٍ أثّرت في اعتبارِه المزايا الشخصيّة جزءًا مهمًّا من تعريف الأدب والأديب على حدٍّ سواء، كما أنّ نشأتَه بكنف والده وتتلمُذَه على يد علماء كثرٍ، إضافةً إلى الرحلات والتجارب، أدّت إلى تكوينِ تعريفٍ آخرٍ للأدب، وهو نتاج التأليف والنظم الشعريّ، والنثر، والإنتاج في العلوم العقليّة والنقليّة.

ليس بغريبٍ أن يكونَ تعريفُ الأدب أمرًا مركّبًا عند الخفاجيّ، إذ لايزال يتغيّر اعتمادًا على المرحلة المُنتَج فيها وعلى معطيات العصر،[86] وطالما سعى الباحثون إلى تعريفه وإلى وضع حدودٍ له، ولكنّ الأمور دائمًا ما تُفضي

[86] ناقشَ بونِه–بَكّر في الفصل الأوّل من كتابه "*The ‘Abbasid Caliphate: a historical introduction*" مراحل تطوّر مصطلح الأدب في العصور الوسطى، وقد لاحظ الاختلافات في استخداماته. فيمكن تقسيم مراحل استخدام مصطلح الأدب بحسب بونِه–بكّر إلى أربعة، وهي التّالية:

إلى إعادة التعريف مع الجديد الذي يطرأ على كلّ عصرٍ أو على الناس أنفسهم، ولعلّ ما أنتجاه ثوماس باور ودانا سجدي يقدّم توضيحًا لمسألة تقييم الأدب والشعر بحسب العصر.[87] إذ إنّ مصطلح الأدب لا يزال في تعريفه يأخذ قوالِبًا عدّة بحيث لم يستقرّ الدارسون على تعريفٍ واحدٍ له: وفي هذا السياق، يشير الأرفه لي إلى

المرحلة الأولى، وهي الكلاسيكيّة أو الأصليّة بحسب تعبير نالينو، حيث يتشابه فيها معنى الأدب بمعنى السّنّة – لذلك كان يُستخدم تعبير الأدب في تلك الفترة في سياقٍ معرفيّ عملانيّ، وليس فقط في سياقٍ اجتماعيّ وأخلاقيّ، ذاك السّياق الّذي أصبح سياقًا جديدًا للأدب.

وأمّا المرحلة الثّانية، فتبدأ من القرن الثّاني الهجريّ، أو من قبل بداية هذا القرن حتّى، ويظهر فيها الأدب شاملًا للشّعر والأمثال والخطب.

والمرحلة الثّالثة، هي المرحلة الّتي تُظهرُ الأدب ابتداءًا من القرن الثّالث على أنّه مهنة يمارس فيها الأديب شتّى أنواع المعرفة، بخلاف العالِم المتخصّص في مجالٍ معرفيٍّ واحد.

ثمّ المرحلة الرّابعة، والّتي يستغني فيها الأدب عن التّقنيّة في مقاربة الأشياء، ليصبح جونرا بحدّ ذاتها تتّخذ طابعًا وعظيًّا وموسوعيًّا.

[87] تبحث دانا سجدي في دراسة لها عن إعادة النص إلى السياق التاريخي عبر دراسة التفاعل بين المادّة/الخطاب والزمان والمكان والناس. إنّ اعتماد الناس على ثقافة الزّمان والمكان، تنتج خطابًا يتغيّر ويتبدّل بتبدّل إحدى العوامل المذكورة سابقًا. بالنسبة للأمكنة في فترة ما بعد الحرب بين المماليك والعثمانيين (انظر ترجمة الشهاب في الرّسالة)، فلا بُدَّ من وجود تأثيراتٍ قد طرأت على علاقة النّاس والشعراء بالثقافة الماديّة للمُدُن، أي أنّ الثقافة العثمانيّة–الاسلاميّة والحكم العثمانيّ قد أدّى إلى تغيّرات ديمغرافيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة أثّرت على علاقة الشاعر بالناس وغيّرت في تعريف الشعر. وأبرز مثالٍ في تاريخ الشعر العربيّ على التأثّر بالثقافة الجديدة: هو تأثير الإسلام على الشعر العربيّ، فالشعر قد تبدّل نوعًا ما بتبدّل العلاقة بين الشاعر والشعر في فترة ما بعد الإسلام. ثمّ إنّ الأمور دائمًا ما تفضي إلى إعادة تعريف الأشياء. للمزيد انظر:

Sajdi, “The Place of Early Modern Arabic Culture,” 81-94.

كذلك يطرح ثوماس باور في دراسةٍ له موضوع الأدب المملوكيّ والعثمانيّ، فيتناول تحديدًا مسألة تعريف الشعر في الفترتين المملوكيّة والعثمانيّة ويقول إنّ الفترتين المملوكيّة والعثمانيّة قد أنتجتا شعرًا يتعلّق أكثر بالحياة الفرديّة للأشخاص، لذلك فإنّه من غير الجائز إجراء المقارنة وتقييم الشعر الناتج في هتين الفترتين عبر معايير الشعر الناتج في الفترة العبّاسيّة.

للمزيد انظر:

Bauer, “In search of ‘Post-Classical Literature,” 137-67.

أنّ التعريفات غالبًا ما اتفقت على أنّ الأدب يحمل في مفهوميّته هذه المعايير الثلاثة: 1–التنشأة الاجتماعيّة والأخلاقيّة، 2–والتعليم والمعرفة الفكريّة، 3–والترفيه، من باب الاستمتاع والتقدير.[88] كما ويضيف أنّ هذا ما جعل هيلاري كيلباترك تعرّف الأدب على أنّه توجّه محدّد في الكتابة أو مقاربة للكتابة وليس كجونرا بحدّ ذاته.[89]

يقدّم الشهاب تعريفًا للأدب، ذو مستوياتٍ ثلاثة كما بيّنّا، ويصرّ على إثر تعريفه هذا على أن تتماهى المستويات الثلاثة في النصّ، أي في عمليّة النظم. تتماهى التعريفات هذه في *الريحانة* من خلال الصفات التي يطلقها الشهاب على الشعراء ومن خلال ذكره مساهماتهم العلميّة والأدبيّة. إنّ هذا التماهي بين التعريفات المختلفة يشير إلى إصرار الشهاب على التقييم المتعدّد الجوانب للدوائر المعرفيّة التي تواجد فيها بين التقييم الأخلاقيّ والأدبيّ والسياسيّ.[90]

[88] Orfali, "A Sketch Map of Arabic Poetry Anthologies up to the Fall of Baghdad," 29–59.

[89] See: Hillary Kilptarick, "Adab," *Encyclopedia of Arabic Literature*, 56.

[90] شهد القرنان السادس عشر والسابع عشر الميلاديّان صراعات عقائديّة منها ما دار بين المتصوّفة والمسلمين السنّة. إنّ إصرار الخفاجيّ على تقييم المعرفة أخلاقيًّا يسمح لنا بأن نطرح سؤلًا حول ما إذا كان هذا الإصرار مؤشّر على هذا الصراع وعن كيفيّة فهم هذا التقييم للمعرفة في سياق دينيّ عقائديّ.

الفصل الثاني: في معايير الاختيار

1. معايير اختيار الشعراء عند الشهاب: مدى تحرّي الشعراء لقواعد اللغة

أظهر الشهاب نظرته إلى الأدب في مقدّمته، ولكنّه لم يُعَرِّف بالمعايير التي اعتمدها في كتابه أثناء اختياره الأدباءَ، ثمّ إنّنا لاحظنا أنّه يصنع توطأةً لكلّ أديبٍ قبلَ ذكر أدبه، يذكر فيها صفاته. تتكرّر الصفات وتتعدّد عند الأدباء، وهذا ما دفَعَنا إلى دراسة ما يميّز هؤلاء الأدباء من صفات بغيَةَ استنتاج المعايير التي اعتمدها المؤلّف حين اختارهم، وذلك لأنّ هذه الصفات تتكرّر فتشكّل المعيار من ناحية السلوك وأدب الذات، ثمّ إنّها تساعدنا على فهم تعريف الأدب أكثر من جهة، وتوضّح عمليّة الاختيار الأدبيّ عند الشهاب وكيفيّة تأثيرها على تنظيم المداخل في *الريحانة* من جهة أخرى.

نعرُضُ في ما يلي هذه المعايير ونشيرُ إلى ما يتكرّر منها: سندرُسُ الأقسامَ الأربعة من الكتاب ونبيّنُ ما يميّزُ شعراء كلّ محلّة. سنعمد بالعمل على القسم الأوّل كنموذجٍ نوضّح فيه اسم الأديب والصفات التي أطلقها المؤلّف عليه (انظر الجدول ج.1)، ثمّ سنعرض نتائج باقي الأقسام فقط دون الخوض في تفاصيلها.

2. القسم الأوّل: الشام

يذكر المؤلّف في القسم الأوّل من الكتاب ثلاثة وأربعين أديبًا (انظر الجدول ج.6)، يجعل لكلّ أديب بابًا يضع اسمَه في أعلاه، فيذكر تحت الاسم مزاياه، ثم ينتقل إلى ذكر أدبه وأغلبه من المنظوم ممّا قرأه له أو سمعه منه أو عنه أو تلقّاه، وهذه الطريقة في العمل والتأليف تنسحب على كامل الأدباء في الكتاب. سنجعل في ما يلي

جدولًا يوضّح لكلّ أديبٍ الصفات التي يذكرها المؤلّف، ثمّ سنناقش أكثر الصفات تواترًا محاولين الاستفادة ممّا يذكره الشهاب عن كلّ الأدباء في كتابه في توضيح جانب النشأة والسلوك في تعريفه للأدب.

الجدول 1: أسماء وصفات الشعراء: الشام نموذجًا

الإسم	الصفات	
أحمد العناياتيّ	الصدق – الصلاح – السماح – لو رآه المتنبّي لقال ما هذا إلّا ساحر – الحسب – المجد – فيالها جواهر إذا شهدها مفتقر إلى البيان – المحاسن – الزهد – القناعة	
محمد الصالحيّ الهلاليّ	هُمام – المناقب – المعالي – من سنّته الاعتزال عن النّاس – تقديم الوحشة على الاستئناس – العلوم – المنثور والمنظوم – الزّهد – شعره – لم يصرفه لمدح كريم – ولا تغزَّل بمليحٍ كريم – إمام الأدب	

	المقتدى به – البليغ – أفاض عليّ لباس مودّة لم تُبلَ عهودها – أستاذ وملاذ –	
حسن بن محمد البوريني	مكرمة الدهر – حسنة اعتذر بها الدهر عما جنى – دوحة فضل – نبتًا حسنًا – الأدب – الكمال	
أبو المعالي دَرويش الطالُويّ	الحزم – اللّطف – سليل المعالي والكرم – رقيق الطّبع والشّيم – حسّان عصره – أبو عبادة دهره – المجد – الكرم – فكر مديد	
محمد بن قاسم الحلبيّ	يتيمة الدهر – بيضة البلد – الفضائل – أخ – حُرّ العرض – عبد الصّديق – نلت به ما هو للرّوح قوت وللطّرف قرّة – الحُسن	
الأمير أبو بكر الحلبيّ	جيشه الهمم – رحيب الصّدر – الصّبر – الحزم – العزم – لا يأكل الطيش حلمه – الأدب الرقيق والصافي	

إبراهيم، ومحمد ابنا أحمد الحلبيّ، المعروف بالمُلّا	الكمال – طويل الباع – عذب الموارد – مرهف الفكر – صقيل الطّبع – الكرم – المجد – الفضل والحسب	
يوسف بن عمران الحلبيّ	نظم ونثر – أكثر من الرّحلة والنّقلة – الثناء – الشّكر – صحبني رأيته بشعره معجبًا طروب – مدحني بعدّة قصائد – أهدى إليّ منها ما هو على آدابه شاهد	
سرور بن سنين الحلبيّ	سمح السجيّة – نسمات المسامرة تهبّ بنفحاته وأفواه الأسماع تحتسي في نادي الأدب سلافة أبياته	
حسين بن أحمد الجزري الحلبيّ	أوصاف حُسنى – مناقب – الشباب – ذكاء – المجد – الهمّة	
أبو بكر تقيّ الدين التاجر ، المعروف بابن الجوهريّ	الفصاحة – أسعدته الجدود – له في الأدب والشّعر تجارة لن تبور	

شمس الدين محمد ، المعروف بابن المنقار	المكارم – الفضائل – شعره شعر العلماء – أدبه أدب الفقهاء – يفتخر به عصره	
ابنه عبد اللطيف	نعمت بلقياه – الأديب الحسيب – الأُنس – عطّر بفضائله المجامع – أهدى إليّ في مشرفة قصيدة حيّاني بها	
شيخ الإسلام عماد الدّين الحَنفيّ الشّاميّ	ماجد – الكرم – عماد رَبْعِ الأدب – لطف الخُلق – الكمال	
بدر الدّين بن رَضيّ الدين الغَزّيّ ، العامريّ ، الشاميّ[91]	فريد الدهر وأوانه – ابن عبّاس زمانه – سلمان آل بيته – حسّان قصيدته وبيته – صاحب الفنون – سيّد أهل الحديث وعين ذوي الأثر	
أبو الصّفاء مصطفى بن العجميّ الحلبيّ	المروّة – المكارم – النّبل – الأدب – الصّفاء – اللّطف – الفصاحة	

[91] يذكر الشهاب من شعر الغزّيّ في الباب الذي خصصه له. انظر: *الريحانة*، 1/138-144.

تقيّ الدّين بن معروف	الكمال – المعارف – العلم – المجد – له في علم الفلك أنظار تنم بأسرار كواكبه – المكان العالي	
محمد بن الرُّوميّ ، المعروف بماماي ابن أخت الخيّاليّ نزيل دمشق الشام	الأفكار – الطّبع المرهف – رقّة الشّمائل	
زين الدّين الإشعافيّ	فاضل – ماجد الأعراق – الشّمائل – الأخلاق – القبول – يقطف نور التّحصيل	
أبو بكر الجوهريّ الشّاميّ	عذب الكلمات – حسن الذات والسمات – الأفكار – الشّباب – الأخلاق العذاب	
أبو الفتح بن عبد السلام المالكيّ المغربيّ نزيل الشّام	هدية الزمان – الفضل – المجد – العلم – الأدب – الأخلاق	
علاء الدّين بن مليك الحمويّ ليس من أهل عصره، قريب العهد	العلم – لواء على ملك الكلام – يخلب الأسماع بسحره – رفعته حرفة الأدب	

القاضي محبّ الدّين بن تقيّ الدين الحمويّ	نزيل الشّام – الكمال والأدب – المجد – غرّة من نظم ونثر – حسن الخُلُق	
شهاب الدّين الكنعانيّ الشّاميّ	شاعر عصريّ	
معروف الشّاميّ	سَمَت مقاصده – نضارة الشّيم – الكرم – المآثر – المحاسن – الغفران	
نجم الدين بن معروف	المناقب – الكرم	
محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق	شاعر رأيته – له شعر لم يثابر على تهذيبه	
فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونيّ الحلبيّ	أديب فاضل – طُرَف ومُلَح وشعر – الفضل – انقطع عن الاختلاط	
القاضي ظهير الدين الحلبيّ	صحبته بالرّوم – ظهير ومعين – الأفكار	
بهاءالدين محمد بن الحسين العامليّ الحارثيّ	فاضل – الوصف – الأفكار – زيّن بمآثره العلوم النّقليّة والعقليّة – نقد ذهنه – الرياضيات – الفصاحة – الكرم – رئيس العلماء	

خضر الموصليّ	الفضل – مدحه الرّواة – رأيته في عنفوان العمر – الإحسان – الشّكر – سعة الاطّلاع	
المولى عبدالرحمن بن عماد الدين الشّاميّ الحنفيّ	مفتي الشّام – ناشر الإفادة – الجود – الصدق – تعقد منه الأقوال بالأفعال – محاسن الصّفات – لطف الطّبع – حسن التّقرير	
أحمد بن شاهين الشّاميّ	صديقنا الصّادق الوداد – المحاسن – حديثه الحسن – شمائله – فضائله	
الأمير منجك بن الأمير محمد بن منجك	نجيب – السّجايا	
الفاضل أبو الطّيّب بن رضيّ الدين الغزّيّ نزيل الشّام	الفضل – الأدب – اشتغل بدائه – فاعتزل الناس – رقة طبعه – دقة معانيه	
عبد الحق الشّاميّ، المعرف بالحجازيّ	الفضل – الفصاحة – المكارم – الشمائل – العفاف – المجد	

الأمجد الأوحد، العلم المفرد		
أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهّاب الشّافعيّ، العرضيّ الحلبيّ	شاعر مُجيد – فضل – صرف حياته لتحصيل الفضل والعبادة	
أخوه محمد بن عمر العُرضيّ	فاضل – نجيب – حسيب – البلاغة – الفضل	
عمر بن عبد الوهّاب العُرضيّ والد الأديبين السّابقين، شيخ الإسلام	علامة زمانه – الفضل – المجد – الإفادة والإفتاء بحلب – تآليف – تصانيف – الحسن	
صلاح الدين الكورانيّ الحلبيّ	فاضل – شاعر – ناظم – ناثر – مسهب – مطرب – معجب حرفة الوراقة – يكتب للقضاة الوثائق – امتدحني	
السيد أحمد بن النّقيب الحلبيّ	سيّد – الفضل – الفتوّة – الكرم – الجود	

لاحظنا أوّلًا أنّ الخفاجيّ وقبل الشروع في ذكر ما نَظَمَه الأديب والتعليق عليه أو مقارنته بشعر غيره، فإنّه يضعُ توطِأةً يُعرّف خلالها بهذا الأديب بطريقةٍ يَمتَدِحه فيها على شخصِهِ قبل اختيار أدبه، إلّا في ثلاثة من الأدباء في الكتاب نذكرهم في القسم المخصّص لمصر وشعرائها، فيقول فيهم صفاتٍ خارجة عن هذا السياق.

سنذكر ما تكرّر من الصفات في القسم الأوّل الذي جعله للشام ونحواحيها. لاحظنا أنّ معيار "فاضل/فضل" قد تكرّر بين "أديبٍ فاضلٍ، وصاحب فضلٍ" وغيره على هذا النحو، سبع عشرة مرّة عند الثلاثة والأربعين أديب، وأنّ معيار الكرم/مكرمة قد تكرّر تسع مرّات، ومعيار الحَسَن تسع مرّات، ومعيار المجد تسع مرّات، والشمائل أربع مرّات، والعلم ستّ مرّات، واللطف خمس مرّات، والخلق/الأخلاق خمس مرّات، والبلاغة والفصاحة ثلاث مرّات، والحسب مرّتين، والصدق مرّتين، وصديق مرّتين، والزهد مرّتين إضافةً إلى صفات كثيرة أخرى كالعفاف والعبادة ورقّة ولطف الطبع وغيرها. ممّا يشير إلى أنّ تعريف الأدب عند الخفاجيّ "على أنّه عنوان صحائف الشمائل" يدلّ على الجانب السلوكيّ للأديب قبل الفكريّ والإنتاجيّ منه. وأبرز ما يدلّنا على هذا، إضافةً إلى ما تقدّم، ما كتبه عن بدر الدّين الغزّيّ، العامريّ، الشّاميّ[92] أنّه "فريد الدهر وأوانه ، ابنُ عبّاس زمانه ، وسلمان آل بيته ، وحسّان قصيدته وبيته"[93] ففي وصف من يعتبره فريد الدهر بيّن الخفاجيّ عن المشابهة بين صفات هذا العالم وصفات كُلٍّ من صحابة الرسول (ص): عبدالله بن عبّاس (ت 68هـ) وسلمان الفارسيّ (ت 33هـ) وحسّان بن ثابت (ت 42هـ). علاوةً على ما سبق، فقد لاحظنا أيضًا من خلال الباب الذي جعله لـ"بهاء الدّين

---

[92] في دراسةٍ حول التبادل الفكريّ والاجتماعيّ الواسع الذي نتج في ما بعد 1516–1517م بين العثمانيّين والعرب، تتطرّق هيلين فايفر إلى وصول قاضي القضاة كينالزاده علي عام 1562م إلى دمشق، حيث لم يسارع إلى زياة هذا القاضي عالمان فقط وهما علاء الدين بن عماد الدين الشافعيّ، الّذي كان على فراش موته، والعالم بدر الديّن الغزّيّ (ت 1577م). يذكر نجم الدين الغزّيّ (ت 1651م) هذا الأمر في الترجمة التي يضعها لكينالزاده في كتابه *الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة*، وما هذا إلّا دليلٌ على أهمّيّة الزيارة لدى نخبة دمشق في إظهار الاحترام للقاضي. ومن ناحية أخرى، فإنّ زيارة أو عدم زيارة بعض العلماء له دليلٌ على قامة هذا القاضي –أو مستواه كعالم، ففي حالة القاضي كينالزاده، قام هو بزيارة الغزّيّ وعلاء الدين، وليس العكس. كان يحقّ لقاضي القضاة في دمشق: تعيين وعزل معاونيه أو نوّابه، وغالبًا ما ذهب قاضي قضاة دمشق ليتولّى قضاء العسكر في الأناضول، لذلك فإنّ العلماء دائمًا ما سعوا إلى إقامة علاقات وطيدة به باعتبار له الكلمة والنفوذ في تعيين المدرّسين في مدارس الأناضول والمقاطعات العربيّة.

للمزيد انظر:

Helen Pfeifer, "Encounter after the Conquest: Scholarly Gatherings in 16th-Century Ottoman Damascus," 219-39.

[93] *الريحانة*، 138/1.

محمد بن الحسين العامليّ الحارثيّ" أنّ المساهمة في العلوم العقليّة والنقليّة يمكن أن تكون من مآثر الأديب وفضائله، إذ يقول الخفاجيّ في بهاءالدّين:" زيّن بمآثره العلوم العقليّة والنقليّة ، وملك بنقد ذهنه جواهرها السَنيَّة ، لا سيَّما الرياضيات ، فإنّه راضها ، وغرس في حدائق الألباب رياضها."[94] ففي ذكر مزايا هذا الأديب، جعل الخفاجيّ مكانًا للإنتاج الفكريّ والمساهمة في إنتاج العلوم، ممّا يدلّنا على البعد الثالث الذي يتخذه الأدب عند الشهاب وهو المساهمة في العلوم العقليّة والنقليّة.

3. القسم الثاني: المغرب وما والاها

ثانيًا في شعراء المغرب وما والاها: يذكر الشهاب في هذا القسم أحد عشر أديبًا من المغرب، ثمّ ينتقل إلى مكّة ويذكر ستّة وعشرين أديبًا، ويذكر أربعة أدباء ممّن وصلت إليه أخباره من اليمن.

يكرّر المؤلّف الصفات التالية في التعريف بشعراء المغرب: وردت فضائل وفاضل وغيرها من الصفات على هذا النحو أربع مرّات، ورقّة الطبع مرتين، والمجد مرتين إضافةً إلى الصفات التالية: ملك، والحسب، والجوهر، وبحر العربيّة، والكمال، والفصاحة، والعبادة، والزهد، والعلوم، والكمال، والذكاء، والصيت، والقدر العالي، والأخلاق، والشمائل، والبلاغة، والفكر، وطيبُ الأخبار.

ثمّ في هذا القسم يجعل الخفاجيّ أبوابًا لشعراء مكّة من أدباء الدولة الحسنيّة، وهذه أبرز الصفات فيهم: تكرّرت الفصاحة ستّ مرّات، ورهافة/لطافة الطبع ستّ مرّات، والكرم خمس، والمجد ثلاث، والفضل ثلاث، والهمّة ثلاث، والكمال ثلاث، والمعالي ثلاث والجود مرّتين وغيرها من المعايير والصفات التالية: كالبلاغة، وطيبُ

[94] نفسه، 207/1.

الذكر، والفخر، وعَلَمٌ في المعرفة، والسعد، والشجاعة، والمُلك، والسيف والقلم، والوطأة، وقطب، وعصاميّ، وعريق، وصوفيّ، والتُّقى، والأخلاق، والذكاء.

كذلك يجعل المؤلّف أبوابًا لمن بلغته أخباره من أهل اليمن، وهم أربعة شعراء تراوحت صفاتهم ومعايير اختياره لهم بين: المجد، والملك، والمكارم، والأشراف، والفضل، والعرفان بالله، والإسهام في الفنون العقليّة والنّقليّة، والحسب، والنسب.

4. القسم الثالث: مصر

ثمّ بعد قسم المغرب، القسم الثاني، ينتقل الخفاجيّ إلى القسم الثالث الذي خصّصه لشعراء مصر، وعددهم تسعة وستّون أديبًا، وسنذكر كذلك ما تكرّر وما برزَ من صفات شعرائها، إلّا أنّنا لاحظنا كلامه على ثلاثة شعراء من بين شعرائها، يذكرهم تباعًا بغيرِ المديح الذي خصّ به كلّ الشعراء. والشعراء هم: رمضان الهُوّيّ، وأحمد بن عبد السلام، محمّد بن بدر الدين الزيّات. يذكر عن الهُوّيّ[95] أنّه ذو ألفاظ محلولة مبدّدة، وأخلاق مجعّدة، وأكثر ذنوبًا من الدهر، وغيرها، ثمّ إنّه لا يذكُر أيّ إنتاجٍ شعريّ أو نثريّ له. وفي أحمد عبد السلام[96] يقول إنّه ثرثار، وعديم التهذيب، إلّا أنّه يذكر بيتين من قصيدةٍ له. وفي محمد بن بدر الدين الزيّات[97] يقول إنّه مولَعٌ بالسرقة ولا يؤتمن، إلّا أنّه يقول إنّ آدابه قد راقت ويذكر له بيتين من المديح في الفاضل العزّيّ.

---

[95] نفسه، 2/91-92.

يذكر الخفاجيّ في نهاية الباب الذي جعله للهوّيّ ما يلي:" بلدة بالصعيد، لم يخرج منها نجيبٌ ولا سعيد، وما يسوء الفؤاد إلّا هُو."

[96] نفسه، 2/93-94-95-96.

[97] نفسه، 2/97.

وفي باقي شعراء مصر، ترد الصفات التالية:

فضل/فاضل/فضائل تكرّرت ثمانٍ وعشرين مرّةً، والمجد إحدى وعشرينَ مرّة، ورقّة/لطافة الطّبع إحدى عشرة مرّةً، والكمال تسع مرّات، والأخلاق تسع مرّات، وصديق/الأصدقاء خمس مرّات، والمكارم أربع مرّات، والمحاسن ثلاث مرّات، والفصاحة ثلاث مرّات، والمعالي مرّتين، والنسب مرّتين، والعلوم مرّتين، وغيرها من الصفات والمعايير: كالمؤذّن، والمفسّر، والمحدّث، والحكمة، والوقار، والأنس بالوحدة، وكريم، والحسب، والبراعة، والمهارة في الفنون والطب، والحكمة، والتُقى، والصلاح، والزُهد، والمعارف، والبلاغة، والمنطق، والشجاعة.

5. القسم الرابع: الروم

ثمّ يجعل الخفاجيّ القسم الرابع إلى العلماء الأروام، وهم خمسة علماء: تكرّر الفضل في صفاتهم ثلاث مرّات، والأخلاق مرّتين، وغيرها من الصفات والمعايير الأخرى: كالأخلاق، والنبل، والبراعة، وعلوّ القدر، والكرم، والمجد، والكمال.

6. الخلاصة ممّا تقدّم:

أوّلًا في ما ورد في الثلاثة من الشعراء المِصرّيين من صفاتٍ لم تتوافق مع سياق الصفات في شعراء الكتاب ككلّ، فإنّ هذا لا يُخلِفُ في عمل الخفاجيّ في جعله المعايير أساسًا في اختيار الأدباء، بل على العكس فإنّنا نرى أنّه اختار أن يتكلّم عن ثلاثةِ شعراءٍ من مصرَ، البلد الذي نشأ فيه، بهذا دليلٌ على أنّه قد ألّف هذا الكتاب بمصداقيّة، ممّا يؤكّد على أنّ الأخلاق لا تزال معيارًا سواء في المدح أو الذمّ، ولكن في الوقت عينه هذا يعيدُنا إلى تعريف الأدب وإلى مسألة السلوك، لأنّه من الممكن للأخلاق أن تسوء وللشعر أن يروق. ثمّ إنّ هذه الأمثلة

تكسر التماهي بين المستويات الثلاثة بعض الشيء، وإن كان الشهاب قد اختار أن يذكر شعرًا من اثنين منهما وبشكلٍ خجول.

أضف إليه، فيجعَلُ الخفاجيّ فصلًا في القسم الرابع من الكتاب يشير فيه إلى سبب هجرته عن مصرَ "لمّا فُقِدَ فيها الدّين والدّنيا والكمال"[98] ثمّ إنّ إشارته إلى بعض الصفات الغير حميدة في ثلاثةٍ من أدبائها تبرّر له مقالَه في هذا الفصل الذي جعله في سبب الهجرة عن مصرَ.

ثانيًا، نستخلص من الصفات التي تكرّرت كالفضل والصدق والأخلاق والهمّة والحسب والنسب والفصاحة والبلاغة ولطافة الطبع أنّ للبيئة والمكان الذي نشأ فيه الخفاجيّ، والذي ارتحل وعاش ضمنه أيضًا، تأثيرٌ على تعريفه للأدب واختياره الأدباءَ، فلكونه قاضيًا مسلمًا حنفيًّا تأثيرٌ على حكمه على الأدباء إذ كثيرًا ما ذكر الصدق والأخلاق والهمّة والحسب والنسب، ولكونه أديبًا إذ ذكر مِرارًا لطافة الطبع والبلاغة والفصاحة وغيرها. ثمّ لتعريف الأدب تأثيرٌ على النص أيضًا: يتأثّر النصّ من حيث اختيار الأدباء أوّلًا، وثانيًا من حيث المختارات الأدبيّة التي تشكّل هذا النّص، فاختيار هؤلاء الأدباء بالتحديد أدّى إلى صنعِ هُويّة النصّ ككلّ وحدّد عمل الشهاب في المختارات الأدبيّة.

إنّ كتب المختارات الأدبيّة هي نصوصٌ تتألّف من نصوص أخرى، لذلك فإنّ للمختارات الأدبيّة في النصّ تأثيرٌ كبيرٌ على بنية النصّ ككلّ وعلى صوت المؤلّف نفسه. وعليه، فإنّ تأثّر الخفاجيّ بالمكان والبيئة، والذي أسهم في تعريف الأدب، أثّر بدوره على النصّ من حيث الاختيار وتنظيم الأبواب ضمن الأقسام في الكتاب، وهذا ما لم يَذكره الشهاب في المقدّمة إذ بيّنَ فقط نظرتَهُ للأدب.

[98] نفسه، 313/2.

الفصل الثالث: أساليب التلقّي والجمع الجغرافيّ

1. الاختيار الأدبيّ في مراحل: جمع الأدب، الاحتفاظ به، الاختيار منه

يكمل الخفاجيّ مقدّمته بإظهار مجهودٍ صرفه في سبيل جمع الأدب واقتنائه، فقد ذكر صرفَه نقدَ العمرِ أي أيّامه لاقتناء الأدب، واقتناص[99] شوارده أي الاختيار الدقيق لشوارد الأدب، والشوارد تعني ما هو مميّز وغريب ونادر بالمعنى الإيجابيّ[100] للكلمة، ونستدلّ من خلال هذا على مداومة الخفاجيّ على جمعِ المادّة واقتنائها قبل أن يصل إلى الاختيار منها. وما يدلّنا على هذا أنّه يشير بعد عمليّة الجمع هذه إلى الأوراق التي حفظت له الأدب، وهي الأوراق التي شكّلت كتابه *خبايا الزوايا* وعاد واختار منها مادّة *الريحانة*.

إنّ الشاهد على أنّه كان يحتفظ بالأدب قبل البدء بتأليف *الريحانة* قوله "فلا سمير لي أجالسه ، ولا نديم لي أؤانسه ، سوى أوراقٍ كنت خلعت عن مَنكِب الإقبال بُردَها الخليع ، وجعلتها كبيت العروض ادِّخارها للتَّقطيع ، فوجدت فيها نُبذًا من المحاسن أسرَّها الدهرُ في خاطره ، شاهدةً لقول معدن الحكم..."[101] يشير الخفاجيّ في هذا إلى أنّه كان يحتفظ بأوراقٍ حَوَت ما كان قد جمَعَهُ من الأدب، ويبدو أنّها كانت مغطّاة بـ"البُرد الخليع" أي الكِساء/الغطاء القديم، فوجد فيها نُبذًا من المحاسن أي نُبذًا من الأخبار والأبيات الشعريّة والنثر وغيرها.

---

[99] الاقتناص هو الدّقّة في عمليّة اختيار الأدب، أو هو الاختيار الدّقيق للأدب

[100] المعنى الإيجابيّ للفظة الغريب هو المميّز والأفضل من بين ما نظمه الشّعّار أو خطّه الأدباء بالنّسبة للخفاجيّ. قد يختلف الأمر مثلًا في تفسير لفظة "الغريب" إن عدنا إلى التّأليف المعجميّ: فالغريب قد يعني الوحشيّ وغير المستخدم من كلام العرب، أي المتروك أو المهجور وغير المستخدم من الألفاظ. للمزيد حول الغريب في التّأليف المعجميّ انظر: رمزي بعلبكي، *التّراث المعجميّ العربيّ من القرن الثّاني حتّى القرن الثّاني عشر للهجرة*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، 83.

[101] انظر: *الريحانة*، 10/1.

يشير الشهاب في مقدّمته أيضًا إلى أنّه اختار ممّا جمع حسب معايير الاختيار: وبعدما ذكر هذه الأوراق التي احتوت على محاسن الأدب قال في الاختيار ومعاييره:" فجمعتُ منها ما هو لطَرْف الدَّهر حَوَر ، ولجيد الأدب عِقد يبسَم منظومُه هُزْؤًا بعِقد الدُّرر ، ولكاس الأدب ختام ، ولعِقد حُبابه نِظام ، تُذكِّر العهودَ والمودَّة ، وتطلع في وَجْنة الوفاء ورْدَة ، وتندُب من ألْقى للبلاء قِيادَه ، وتُلبِس عليه وجْهَ الطِّرس حِدادَه ، وتسيل في عاتِق المحاسن غَواليًا ، وترقُّ فلا تدري ألفظٌ رقَّ أم دمع ترقرق جاريا ، وتسجد الأقلام في محراب طِرسها الذي هو للمحاسن جامِع..."[102] يؤكّد كلام الخفاجيّ فكرة احتفاظه بالأدب ويبيّن معايير اعتمدها في الاختيار ممّا كان قد احتفظ به: إذ يذكر أنّه اختار ما هو لكأس الأدب ختام، وما هو كالنّظام لعقده، وحبّات العقد إشارةٌ إلى الفرائد الثمينة التي تمثّل المختارات الأدبيّة في الكتاب، وأنّه اختار ما يذكّره بالعهود والمودّة وفاءً لمن عرفهم، وما يهدف إلى ندب من مضى والتحَقَ بديار البلاء فيُبقي ذكره، وهذا إشارة إلى ذكره لأدب شعراء خلوا، من قريبي العهد، إضافةً إلى ذكره لقصائد من معاصريه في رثاء من مضى. أضف إليه، فإنّه يذكر الشعر الذي يجمع المحاسن، ولا يحدّد ما هي. وسنبيّن في ما يلي من القسم الثالث أمثلةً تشير إلى تطابق معايير الاختيار مع الشعر الموجود في الكتاب:

[102] نفسه، 11/1.

الجدول 2: معايير اختيار الشعر: القسم الثالث نموذجًا

اسم الأديب	المعيار	المادّة
	1-وفاءً لمن عرفهم	
تقيّ الدّين بن عمر الفارسْكُورِيّ		"وهو بالروم صديقي ، وفي الغربة القارظيّة رفيقي..."[103]
	2-من شعراء خلوا	
عبد الرّحيم العبّاسيّ		" أنا وإن لم أره ، فلقرب عهده سمعت خبره... فمما رويناه من شعره قوله:..."[104]
	2.1-في رثاء شعراء خلوا	
محمد بن يس المُنُوفي		"قوله في قصيدة يرثي بها الوالد رحمه الله تعالى : ..."[105]
	3-المحاسن	
يحيى بن الخطيب القبّانيّ		"وكان كثيرًا ما يخصّني بأنس مذاكراته ، ويتحفني بهدايا مفاكهاته... فكتب إليّ مرّة

[103] نفسه، 70/2.

[104] *نفسه*، 61/2.

[105] نفسه، 9/2.

		يدعوني لبيت له على الخليج... وكتب له بعض أدباء الشام يفاكهه..."[106]

ثمّ إنّ ذكرَ هذه الأوراق والإشارة إلى الاحتفاظ بالأدب والاختيار منه هو في الوقت عينه تبيانٌ بشكلٍ عن مستوى من من مستويات الأدب في سياق *الريحانة*: إنّ جمع الأدب هنا يعني جمع الإنتاج الأدبيّ من شعرٍ ونثرٍ وأخبارٍ، وهذا المعنى مختلف عن مزايا الفرد وصفاته ومسلكه وإنتاجه في مجالات العلوم. وبناءً عليه نستنتج أنّ الأدب عند الخفاجيّ يجمع بين ثلاث نواحٍ: الأولى ناحية السلوك الفرديّ ومزايا الفرد، والثانية المساهمة في العلوم وإنتاجها، والثالثة الإنتاج الشعريّ والنثريّ.

أ. تلقّي الإنتاج الأدبيّ: مرحلة ما قبل التأليف

تسبق مرحلة التأليف في المختارات الأدبيّة عدّة مراحل أخرى تبدأ بتلقّي الأدب والاستمتاع به، فحفظه، ثمّ الاختيار منه.

يكمل الخفاجيّ مقدّمته مُظهرًا مداومة تلقّيه للأعمال الأدبيّة، فيقول:"

فإنّي من العرب الأكرمين وفي أوّل الدّهر ضاع الكرم

ومازلت على هذا الحال ، منذ فارقني الحال ، لا دأب لي إلا تلقي وفوده ، لاستهداء تحف الأخبار التي هي ألطف من دمع الطّلّ في وجنات الأزهار .

[106] نفسه، 130/1.

ومن يسألِ الرّكبانَ من كان نائيا فلا بُدَّ أن يلقى بشيرًا وناعِيا

من أحاديث يُشتفى بها الغليل ، ويصحُّ مِزاجُ النَّسيم العليل ، تنفتح منها في رياض المسامرة ، من أجفان الكمائم عيون أنوارها الزّاهرة ، ويحسو فم السَّمع منها ماء حياة يطيل عمر المسرّة ، وتكتحل منها المآثر بما هو لعيونها قُرّة ، مِن كل مَن هو لتشييد المجد أكرم باني ، حتى تكفل الثّناء له بعمر ثاني ، يشيب في وجه السّماء حاجب القمر هلالا ، ويشتعل رأس الشّمس شيبًا ولم يرَ له مثالا ."[107]

ذكر الخفاجيّ أنّه من العرب الأكرمين، والعرب اشتهرت بإكرام الضيف وبرَحابة الاستقبال وحسن الضيافة، وخاصةً لكونِه قاضيًا وعالمًا وأديبًا مشهورًا، فقد تلقّى وفود الأدب مستقبلًا تحف الأخبار، أي أنّ أخبار الأدب كانت تصل إليه عبر وفود الأشخاص عليه، وهو بدوره يختار ما يراه لطيفًا وذا قيمةٍ عاليةٍ، أي ما هو كالتحفة في قيمته الأدبيّة. وفي معنى الوافد/الوافدين: فيمكن للوافد على الخفاجيّ أن يكون من الرواة الوسطاء أو من الأدباء الذين أتوا إليه بغرض تبادل الأدب وإيّاه، فالوفود يمكن أن تمثّل المباشر وغير المباشر من المصادر. واحدٌ من المواضيع التي لم نجد لها ذكرًا في كتاب الخفاجيّ هي الصالونات الأدبيّة. تشير هيلين فايفر إلى أنّ الصالونات الأدبيّة كانت في القرنين السادس والسابع عشر مساحةً مهمّةً للقاء العلماء الأتراك والعرب في دمشق، واحدة من مقاطعات السلطنة العثمانيّة، حيث كانت المساحة التي جرى فيها/عبرها التبادل الثقافيّ والعلميّ بينهم. ومن نتائج هذا التبادل الثقافيّ أن وجد المؤرّخون مثلًا عبر ما كان يدور في هذه المجالس مادّةً لكتبهم، كذلك فهي ساهمت في تبادل الكتب بين العلماء ونشر الجدل حول هذه الكتب، مثل كتاب *التفسير المنظوم* لبدر الدين الغزّيّ (ت 1577م). إنّ الصالونات الأدبيّة لم تكن واحدةً من المصادر التي ذكرها الخفاجيّ في *الريحانة* مع أنّه اعتمد على مصادر "سمعيّة" و"شفهيّة" كما وأنّه لا يذكر إن كانت المجالس هي الأمكنة

[107] نفسه، 1/4-5.

التي سجّل فيها الأدب، بل ذكر بالمقدّمة إنّه قد استقبل وفود الأدب عليه. وفي هذا السياق ذكر الأحاديث التي تنفتح منها رياض المسامرة، والمسامرة هي الحديث الذي يمتدّ ويؤنس ويفتح باب التبادل في الأدب مع من هو من الأدباء "لتشييد المجد أكرم باني،"[108] لذلك فنحن نرى من خلال ما سبق ذكره، أنّ عمليّة التأليف في الاختيار الأدبيّ عند الشهاب يسبقها عدّة مراحل هي: المرحلة الأولى هي التذوّق لهذا الانتاج الأدبيّ، عبر تبادله ونقل أخباره والأنس والاستمتاع به، والمرحلة الثانية هي حفظه، والثالثة الاختيار منه لتتمّ عمليّة التأليف.

ب. كيفيّة تلقّي المادّة

بيّنّا ما ورد عن تلقّي وفود الأدب والاحتفاظ به واستخراج فرائده في المقدّمة، ثمّ إنّ عمليّة التلقّي كانت كما لاحظنا في النصّ متعدّدة الأوجه ومختلفة عمّا ورد في المقدّمة وسنبيّنها في ما يلي. لا يذكُر الخفاجيّ مصادره بشكلٍ مباشرٍ في المقدّمة، بل يذكُر تعدُّد الطُرُق التي التقى بها الأدباء. يوضّح الخفاجيّ في مقدّمته طُرُق لقاء أو معرفة الأدباء والتي تمثّل بدورها طُرُق تلقّيه للأدب كما يلي:" "أمّتي كَالْمَطَر لا يُدْرَى الْخَيْرُ فِي أَوَّلِهِ أَم فِي آخِرِهِ"[109] ، ممّن جَرَّ عليه الزمنُ أذيالَ الفَنَا ، وأسكنه تحت أَطْباقِ الثَّرى ، فحلَّ مُخَيَّمَ البِلَى ، كأنه سِرٌّ في صدرِه ، ومِن باقٍ على هامةِ الليالي تعْبَق أنفاسُ الرُّواةِ بذكْرِه ، ممَّن ركِبتُ لرُؤْياه مطايَا أُمِّ عمرى ، أو نابتْ عنِّي في مشاهدتِه أهلُ عصْري ، فاجتلَوتُ مُحيَّاه ، أو رأيتُ مَن رآه ، حتى طرِبتُ على الاسْتماع ، وعلمتُ أن الذِّكرَى طيفُ الاجتماع..."[110]

---

[108] نفسه، 5/1.

[109] أخرجه الترمذيّ في صحيحه (أبواب الأدب، باب الأمثال عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)

[110] نفسه، 11/1.

ينقسم الأدباء المذكورون في مقدّمة *ريحانة الألبّا* إلى قسمين: القسم الأوّل هم ممّن "جرّ عليه الزّمن أذيال الفنا،"[111] والقسم الثاني هم ممّن هو باقٍ "على هامةِ الليالي تعْبَق أنفاسُ الرُّواةِ بذكْرِه."[112] ولكنّ الشهاب لا يذكُرُ في مقدّمته عن طُرُق تلقّي الأدب، وهذا بشكلٍ غيرِ مباشرٍ، سِوى أنّه ارتحل ليلقى هؤلاء الأدباء أو ناب عنه في رؤيتهم أهلُ عصره. ولكن بالمقابل لاحظنا في النصّ أنّ تلقّي الأدب ينقسم إلى قسمين: التلقّي الغير مباشر ويعني وفود الأدب إلى المؤلّف عبر وسيط: إن كان من الرّواة الوسطاء، أو أنّ الإنتاج الأدبيّ قد وصل إليه مكتوبًا كمن يبعث للخفاجيّ بقصيدة أو كمن يطّلعُ الخفاجيُّ على ديوانِهِ أو كتابِهِ. والقسم الثاني يمثّل التلقّي المباشر: وهو لقاؤه بالأدباء أنفسهم إن كان في منشئه أو أثناء سفره وتبادل الأدب معهم.

وفي ما يلي، سنعمد إلى إثبات هذه المصادر أكثر عبر النظر في القسمين الأوّل والثاني من أقسام *الريحانة*، وقد اكتفينا بهما لكون الأمر ينسحب على الأقسام جميعًا، فنبيّن كيف تتفصّل المصادر أكثر في الكتاب.

ج. المصادر: تلقّي مباشر وغير مباشر

ارتحل الخفاجيّ إلى مناطق جغرافيّة مختلفة، فالتقى الأدباء وتبادل الشعر معهم إن كان عبر المشافهة أم عبر المكاتبة، كذلك فإنّه قد سمع منهم عن غيرهم ممّن لم يلتق بهم، وكان لهذه اللقاءات والأخبار دورًا في تشكيل مادّةٍ جمعها في ريحانته، سنبيّن منها نماذج على هذا النحو الوارد في الجدول أدناه ج.3: يرد في هذا الجدول نماذج من القسمين الأوّل والثاني من الكتاب: الشام والمغرب، والتي تُظهر لنا تلك الطُرُق التي تلقّى المؤلّف الأدب عبرَها والتي تحدّث عنها في مقدّمته.

---

[111] نفسه، 10/1.

[112] نفسه، 11/1.

الجدول 3: كيفيّة تلقّي المادّة

القسم من الريحانة	كيفيّة تلقّي المادّة	اسم الأديب	المادّة
القسم الأوّل: "في محاسن أهل الشّام ونواحيها.."[113]	مكاتبةً	محمّد الصّالحيّ الهلاليّ	"وكنتُ كتبتُ له قصيدة تائيّة،...فأجاب وأجاد..."[114]
		أبو المعالي درويش محمّد الطّالويّ	"فممّا كتبته إليه، لأستمطر سحائب طبعه الغرّ، وأستجدي كرمًا من رقيق خلقه الحرّ... قولي:... فأجاب وأجاد رحمه الله."[115]
		محمّد بن قاسم الحلبيّ	"..فدارت بيننا شمول آداب... فممّا دار بيننا من كؤوس الأدب ما

[113] نفسه، 15/1.

[114] نفسه،29/1 – 30.

[115] نفسه، 55/1–57.

			كتبته إليه وقد قدم من حلب:... فأجاب وأجاد..."[116]
	لقاء/مشافهة	يوسف بن عمران الحلبيّ	"وقد صحبني فرأيته بشعره معجبًا طروب... فمدحني بعدّة قصائد... وطلب منّي يومًا تقريظ شعره... فمن عذب خطابه، وقلائده المنتظمة في جيد آدابه ، ما أنشدنيه من قصيدةٍ له:..."[117]
	من سمع أخباره/رواة وسطاء	حسن بن محمّد البوريني	"وأنشدني له بعض الأدباء رباعيّة، هي:..."[118]

[116] نفسه، 79/1.

[117] نفسه، 105/1.

[118] نفسه، 49/1.

		محمّد بن الرّوميّ نزيل دمشق الشّام	"أنشدني له أدباء الشام:..."[119]
القسم الثّاني:" في محاسن العصريّين من أهل المغرب وما والاها"[120]	مكاتبةً	الوزير عبد العزيز الثّعالبيّ الأديب	"ولمّا قدم قُسطنطينيّة الرُّوم اجتَمع به الأفاضل ، وعظَّمه مَن بها من الصُّدور والأماثل ، فكتبت إليه مادحا ، ولعَذب أدبه مائحا ، بقولي من قصيدة:..."[121]
		العلامة محمد دكروك المغربيّ	"وكنتُ كتبْتُ إليه أُسلّيه ، وأصبّره وأعزّيه:..."[122]

[119] نفسه، 163/1.

[120] نفسه، 287/1.

[121] نفسه، 351/2.

[122] نفسه، 358/2.

		أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدّين	"وكنت كتبت إليه مكاتيب بعد رحلتي...فكتب إليّ رحمه الله:..."[123]
	لقاء/مشافهةً	الوزير عبد العزيز الثّعالبيّ الأديب	"وأنشدني الفاضل عبد العزيز بقسطنطينية قصيدة، منها:.."[124]
	أخبار/رواة وسطاء	حسام الدّين بن أبي القاسم الدّرعيّ المغربيّ	"أخبرني صاحبنا محمد بن إبراهيم الفاسيّ -لازال في رَوح وريحان ، ولا برِح جدثهُ روضة من رياض الجنان – أنه أنشده لنفسِه مضمِّنا ، يخاطب محمد بن يعقوب الأندلسيّ:..."[125]

[123] نفسه، 1/301-302.

[124] نفسه، 2/351.

[125] نفسه، 1/363-364.

		عبد السلام بن سنوس المغربيّ	"أنشدني له بعض الأدباء:.."[126]

تتعدّد الطرق التي يستقي منها الشهاب مادّة ريحانته بتعدّد الطرق التي يتّصل عبرها بالأدباء ويعرف من خلالها أخبارهم وشعرهم، فالذين التقاهم من الأدباء دارت بينه وبينهم شمول الآداب، والذين لم يعرفهم أو يلقاهم عرف من غيرهم عن إنتاجهم الأدبيّ.

وأمّا من ناحية الاطّلاع على الكتب والدواوين، فإنّه لا يذكُرُ في مقدّمته أنّه قد طالع دواوين وكتب بعض الأدباء بيدَ أنّه استقى مادّةً من خلالها. ولقد وجدنا أنّ هذا قليلٌ عند الشعراء المعاصرين، فمن المنطقيّ ألّا نجد الكثير من الدواوين لشعراء معاصرين للشهاب في كتابه، ولكنّه كثيرٌ في القسم الأخير من الكتاب حيث يذكُرُ أعلام الأدب، ثمّ إنّه بيّن في هذا القسم عن معرفةٍ واسعةٍ بشعرهم وإنتاجهم. ومثالٌ على مادّةِ الدواوين قولُهُ عن الأديب الشاميّ محمّد الصالحيّ الهلاليّ:" طالعت له فصلًا في ديوانه، الّذي سمّاه "صدح الحمام ، في مدح خير الأنام"... وهذه نُبذة من نِثار نثره، سأفرّط سمعك بجواهر شعره.."[127] وفي مُطالعةِ الكتب يقولُ مثلًا في الباب الذي خصّصه للأديب المصريّ أحمد بن عوّاد[128] إنّه قد طالعَ كتابَ ***الطراز المنقوش*** لعلاء الدين المكّيّ، وقد أورد هذا الأخير قولًا لأحمد بن عوّاد في بعض الحبوش، ثمّ يذكر القول.[129] وعلاوةً على ما سبق، فهناك قسمٌ

[126] نفسه، 367/1.

[127] نفسه، 28/1-29.

[128] نفسه، 107/2-108.

[129] نفسه، 107/2.

من الشعر لا يذكر الخفاجيّ كيفيّةَ اطّلاعِهِ عليه، إذ يكتفي بذكر القصيدة وموضوعها في كثير من الأحيان على هذا النحو الوارد في الجدول أدناه، وهذا أيضًا أمرٌ لم يذكره في مقدّمته.

الجدول 4: نماذج من الشعر الذي لا يذكر الشهاب كيف اطّلع عليه

القسم من الريحانة	اسم الأديب	المادّة
القسم الأوّل: الشام	حسن بن محمّد البوريني	"فمن نفحاته، وغرّ لمعاته قوله:..."[130] – "وله أيضًا:.."[131]
القسم الثاني: المغرب	محمد بن ابراهيم الفاسيّ	"وله في الهجاء مضمِّنًا:.."[132]

د. البحث عن الأدب

لم يذكُر الخفاجيّ تفاصيلَ التبادُل الأدبيّ مع من التقاهم من الشعراء أو مع مَن سمِعَ منهم، ونعني هنا إن كان هو أم غيرُه مَن يفتَحُ بابَ تبادُلِ الأدب، أي لِمَن تكون فاتحة القول في التبادل الأدبيّ وكيفَ تدورُ شمولُ الآدابِ بينَهم. يشكّل هذا الأمر بالنسبة لنا عَدَسةً مميّزة ننظُرُ من خلالِها إلى مصدر المادّة في التأليف في المختارات الأدبيّة عند الشهاب الخفاجيّ وإلى تجربة كتابه. فلم يكن الشهاب ممّن يستقبل الأدب على أنّه

[130] نفسه، 42/1.

[131] نفسه، 44/1.

[132] نفسه، 337/1.

يبتغي جمعَه دون البحث عنه، بل على العكس فإنّه بذل جهدًا في سبيل إيجاده عند من يراه أهلًا له، والأمثلة على هذا كثيرة، نذكر مثالًا على هذا البابَ الذي جعله للأديب أبي المعالي درويش محمّد الطالويّ (انظر ج.3)، فقد ذكر أنّه كتب له ليستمطر سحائب طبعه، ومثالٌ آخرٌ على مبادرته في فتح بابِ تبادلِ الأدبِ ما ورد في الباب الذي جعله للوزير عبد العزيز الثعالبيّ الأديب حيث كتب إليه مادحًا، فعاد وأنشده الوزير قصيدةً عندما قدم إلى قسطنطينيّة الروم. إنّ هذه المبادرات التي قام بها الشهاب هي التي فتحت في بعض الأحيان بابَ تبادل الأدب، كما وأنّها تقول لنا في هذا السياق إنّ تأليف الخفاجيّ في المختارات الأدبيّة، إضافةً إلى كونِهِ مسعًى في سبيل تسجيل أدب العصر، يحملُ مسعًى تأريخيًّا لأدب المؤلّف وعلاقاته، فالمؤلّف بهذه الطريقة يسجّل شعره وشعر معاصريه ويَحفَظُ التجربة أو العلاقة الشخصيّة التي كانت تربطه بهم. وهذا ما يبيّن لنا أنّ تجرِبَةَ التأليف عندَ الشهاب تتميّزُ بنزعة المؤلّف الهادفة إلى تسجيل أدب الذات والعلاقات الشخصيّة، كما والمساهمة في استكمال مشروع التأليف في هذا الحقل.

وبالعودةِ إلى علاقته الوطيدة بتسجيل الأدب، والتي كما ذكر في المقدّمة دفعته نحو جمعه وحفظه، يُظهرها الشهاب بعد كلامه على طُرُق التقائه بالشعراء كما يلي:"

إذا ما روى الإنسان أخبارَ من مضى فتحسبُهُ قد عاش من أوّل الدهر

وتحسَبه قد عاش آخر دهره إلى الحشْر إن أبقى الجميل من الذِّكر

فقد عاش كلَّ الدّهرِ من عاش عالمًا كريمًا حليمًا فاغتنم أطول العمر

وسواءٌ تلفُّتُ المريض للطبيب ، وفرحةُ الأديب بلقا الأديب ، لا سيّما أهل العصر ، الهاصري أغصان المنى ألطف هصر ، القائلين في رياضها ، الواردين نميرَ حياضها ، فقد سرت كلماتهم مسرى الأرواح في الأجساد..."[133]

لاحظنا أنّ الصوتَ التأريخيّ أيضًا يظهرُ في الأبيات الشعريّة المذكورة سابقًا، وذلك حسبَ ما يلي: يقول المؤلّف في شعره إنّ الأدب الذي يحفظُ أخبارَ من مضى يعيدُ إلينا "سالف" الدهر أي "ما مضى منه" وإنّ الأدب الذي يُبقي الجميل من الذكر يجعل المرء يعيش "آخر" الدهر أي يبقي ذكره "للمستقبل،" إلّا أنّ من عاش عالمًا حليمًا فقد عاش كلّ الدهر لأنّه يجمع بين الإثنين. يجعل الخفاجيّ لذاته موقعًا يجمع بين أدب من مضى وبين أدب معاصريه، وكأنّه يجمع في هذه اللحظة التاريخيّة التي يكتب فيها بين ماضي الشعر وحاضره عبر تجربتهِ وتوجّهه، وفي هذا تكمُن مداخلة المؤلّف الأدبيّة التي سمحَت له بأن يجمَعَ في كتابِهِ بينَ أنواع أدبيّة مختلفة.

[133] نفسه، 5/1.

الفصل الرابع: صوت المؤلّف

1. نظرة مغايرة لحالة الأدب ومداخلة الخفاجيّ

يترافق ونظرة الشهاب الإيجابيّة إلى أدباء عصره، وإلى إنتاجهم الأدبيّ، وإلى تبادل الأدب معهم، رأيُهُ الآخر تجاه حالة الأدب، وقد أبرز صوتَهُ في المقدّمة بعد كلامه على أدباء العصر دالًّا على هذا. يكمل الخفاجيّ مقدّمته كما يلي:" إلا أن الأدبَ في هذه الأعصار ، قد هبَّت على أطلاله ريحٌ ذاتُ إعصار ، حتى أخْلَقَتْ عُرَى المحامد ، واسترْخَى في جرْيِه عِنانُ القصائد ، وتقلصتْ أذيالُ الظِّلال ، وخطب البلاءُ على منابر الأطْلال ، وعفا رَسْمُ الكرام ، فعليه منِّي السلام ."[134]

يُتبع الخفاجيّ هذا التوتّر الحاصل بالرأي اتّجاه أدب العصر بذكر السببين اللذين يقفان خلفه، وهما خلافُهُ مع الشيخ يحيى بن زكريّا وانتقاده لبعض الرؤساء. يشير الخفاجيّ إلى هذا عبر التالي:"

وممَّا أعان عليَّ الزّمانَ عَفافُ يدي وعُلُوُّ الهِمَمْ

والرؤساء شعراء لا ينظمون ولا ينثرون ، وما فيهم من صفات الشُعراء إلّا أنّهم يقولون ما لا يفعلون ، وإذا كذب مادحٌ أحدَهم اهتَزَّ وطرِب ، وجازى من سراب وعده بكذب على كذب ، وبالوعد الفطير لا يخمَّر الخمير."[135]

نلاحظ من خلال هذا الكلام أنّ الشهاب لا يرى في مَن هُم بمواقع السلطة أهلًا للأدب، والأدب هنا له معنيان: أدب الذات والنظم والشعر. يعتبرُ الخفاجيّ أنّ الأدب في عصره قد هبّت عليه ريحٌ غيّرت ملامحه، وهذا بسبب عدم قيام الرؤساء بنظم الشعر ونثر الأدب، ثمّ يتّهمهم بالكذب وبعدم استقرار الحال في المناصب التي يشغلونها

[134] نفسه، 5/1.

[135] نفسه، 6/1.

إذ لا يوفون بالوعود ويبتغون المديح، ثمّ إنّه يتوجّه بهذا إلى الرؤساء في السلطنة من قضاة وغيرهم على إثر ما حصل معه وهذا ما ترجمه في بضعة فصول سنتحدّث عن هدفها أكثر في الفصل التالي، وهي: الرسالة التي ذمّ فيها عزلَه، والمُقامة الروميّة، وفصل انقراض علماء الروم، وفصل في اندراس العلم في الروم، وفصل في أمراء الروم وحكّامها.

ومن ناحيةٍ أُخرى، فيظهر صوت المؤلّف في الخطوة التي يقوم بها مسجّلًا أدب العصر. فباعتبار الشهاب أحد أفراد النظام القضائيّ الذين استلموا مواقع مسؤوليّة عالية كقضاء سلانيك وقضاء العساكر بمصر، أي باعتباره عالِمًا عربيًّا ذاعت شُهرتُهُ بين البيئَتَيْن العربيّة والعثمانيّة، يعودُ بعد كلامه على تراجع الاهتمام بالأدب إلى تسليط الضوء في المقدّمة على هذه الخطوة التي يقوم بها في مجال المختارات الأدبيّة تسجيلًا لأدب عصره. وتبدو لنا هذه الخُطوة، بعد الكلام على حال الأدب والرؤساء، أشبه بالخطوة الإصلاحيّة والمداخلة الهادفة في مجال الأدب، إذ يعتبِرُها مثل النار التي يهتدي بها أدلّاء الهدى إلى الطريق، وذكرُ الاهتداء هنا دليلٌ على رأيِهِ بِعَدَمِ وضوح الطريق، إذ يقول:" فيا أدلّاء الهدى إنّي آنست من جانب الطّور نارًا بها تهتدون ، أو آتيكم بشهاب قبسٍ لعلّكم تصطلون ، فإن لم يترك الأوَّل شيئا للآخر ، فخيرٌ من الكثير الغائب القليلُ الحاضر... "[136] ثمّ إنّه يشيرُ أيضًا في المقدّمة إلى أنّه عبر مداخلتِهِ هذه يسير على خطى الأدباء الذين سبقوه في تسجيل أدب عصرهم، فيذكرهم على هذا النحو:" وقد انتصر لكلِّ عصرٍ من أحْيا مَيْتَه ، وعَمَّر من دارس عهوده بيته ، كصاحب "اليتيمة" و"قلائد العقيان" ، و"الدّمية" و"الذخيرة" و"عقود الجمان" ... فليس منّا من لم يغتَذِ بدرّ المجد في مهاده ، ولم يفتخر في المحافل بأستاذه وإسناده..."[137]

[136] نفسه، 7/1.

[137] نفسه، 5/1.

أضف إلى أنّه يضعُ نفسَهُ في سياقِ مَن ألّفَ في المختارات الأدبيّة، فإنّ الشهاب يذكُرُ في مقدّمته أنّه تربّى على المجد. نُشير إلى لفظة "المجد" هنا لأنّها تكرّرت كثيرًا بين الصفات التي أطلقها على الأدباء في الأقسام الأربعة، والمَجدُ الذي تربّى عليه الشهاب هو التعليم الذي تلقّاه والنشأة في كنف العلماء ومعهم. ثمّ إنّه يفخر في آخر الكلام الوارد أعلاه بعلاقاته بأساتذته في المحافل، وقد تكون المحافل إشارة إلى التجمّعات والمناسبات التي كانت تجري في المحافل الأدبيّة أو الصالونات الأدبيّة، منها مجالس الختم مثلًا، أو الحلقات التدريسيّة، إلّا أنّنا لم نجد لهذه المجالس ذكرًا في الكتاب.

2. الارتحال شرقًا وغربًا والعودة إلى مصر بعد النفي

بعد إظهار الخفاجيّ اتّباع نهج من ألّف في المختارات الأدبيّة التي تعتمد التصنيف الجغرافيّ، يشير إلى قراره بالارتحال، فيقول:" وكنت لمّا ذبل بالنّوى عيشي النَّضِر ، وَلَيت سياحة الآفاق فصرت خليفةَ الخَضِر ، تهادتْني التَّنائف ، وقذفَتني الأمانيُّ في لَهَوات المخاوِف..."[138] يظهر موضوع الارتحال في مقدّمة الكتاب من خلال إيمان الخفاجيّ بنصيبه من لقبه "الشهاب،" إضافةً إلى أنّه يشير إلى اعتبارِهِ كلَّ أرضٍ حطّت فيها النوقُ رحالَه هي وطنٌ له وأنّه رَكِبَ ليرى الأدباء وعلى إثر هذا يذكُرُ في المقدّمة توجّهه شرقًا وغربًا.

يخصّص الشهاب في موضوع الارتحال عدّة فصول في نهاية الكتاب أظهرت صوتَهُ أيضًا وجعلت له حضورًا في النصّ. ففي القسم الرابع يذكر فصلًا في سبب عزمه الهجرة عن مصر في أوّل الأمر، ثمّ يخصّص القسم الأخير لمؤلّفاته وتجربته إذ يضع ترجمةً له ويطلق على هذا القسم عنوان "بيان حالي في خبر المبتدا ، وسبب

[138] نفسه، 1/7-8.

اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا"[139] ثمّ يجعل في هذا الفصل مقامةً ألّفها عن الغربة سمّاها "مقامة الغربة" وهي على "منوال المقامات الحريريّة."[140]

ثمّ بعد الارتحال، لاقى الشهاب النفي من بلاد الروم فعاد إلى مصر، وجلس يؤلّف فيها. وأعاد تنظيم الأوراق التي كانت بحوزته من كتابه *خبايا الزوايا* ليضع مؤلّفه الجديد. وعلى إثر هذا يجعلُ في القسم الرابع، والذي خصَّصَ قسمًا منه لِبيانِ أحوال الروم، فصلًا في انتهاء رحلته وعودته إلى مصر.

3. الأعلام في ختام الكتاب

ويختتم الشهاب مقدّمته بذكره لما قد جعله مسك الختام في الكتاب إذ يقول:" وجعلت مسك الختام ذكر سادة من العلماء الأعلام ، فإنَّ بصبا أنفاسهم ينقشع غمام الغمّة.."[141] ثمّ يطلب ممّن يجد في عمله كبوة أن يبذل لها العفو، وممّن يستعذب موارد عمله أن يقرنه بالدعاء، ويختتم المقدّمة بدعاء التيسير. يختتم الشهاب ***الريحانة*** بذكر أعلامٍ يعتبرهم من بلغاء العرب، ولكن قبل ذكر هؤلاء الأعلام يخصِّصُ بابًا في "طبقات الشعراء"[142] وفيه يقسّمهم في الشعر والخطب على ستِّ طبقات: "الجاهليّة الأولى من قوم عاد وقحطان. والمُخضرمون، وهم من أدرك الجاهليّة والإسلام. والإسلاميون، والمُولَّدون،[143] والمُحدثون والمتأخِّرون، ومن أُلحِق بهم من

---

[139] نفسه، 2/325-369.

[140] نفسه، 2/371-380.

[141] نفسه، 1/12-13.

[142] نفسه، 2/448-450.

[143] المُوَلَّد من الرِّجال هو العربيّ غير المحض. المُوَلَّد: من وُلِدَ عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدَّبَ بآدابهم. انظر تعريف و معنى المولدون في معجم المعاني الجامع

العصريّين."[144] ثمّ يُظهِرُ صوتَهُ في النصّ مجدّدًا مُبيّنًا أنّ معرفة شعر الطبقات الثلاث الأُوَل عند فقهاء الإسلام أمرٌ ضروريٌّ لتثبيت قواعد العربيّة "الّتي بها يُعلَم الكتاب والسُّنّة."[145] ويشير إلى أنّ هؤلاء قد جمعوا شعرهم في كتبٍ عديدة غير الدواوين كالحماسة، والمفضّليّات، وأشعار هذيل، وغيرها، وأنّه سيورِدُ منها "ما تقرّ به عيون الأدب وتنشرح به صدور الطَّلَب... ومن نثرهم ما يكون نثارًا على عرائس الأفكار..."[146] دليلٌ أيضًا على عمليّة اختيار الأدب من شعر هؤلاء الأعلام، وهذا ما يخصّص له الشهاب الصفحات الأخيرة من الكتاب. يثبتُ هذا الاطّلاع الواسع على الأدب موسوعيّة الشهاب وكفاءته في التأليف في الاختيار الأدبيّ، إذ إنّ اطّلاعه على دواوين هؤلاء الأعلام وتخصيصه جزءًا من كتابه لمختارات منها تضفي على صوته شرعيّةً أكبر في تسجيل أدب العصر. فلِمَن أتقن أدب الطبقات الثلاثة الأُوَل له أن يبني على معرفته تصوّرًا واضحًا لأدب عصره.

سنبحث في الفصل التالي في الأهداف التي قرأناها في مقدّمة الشهاب وكتابه علمًا بأن قراءتنا لهذه الأهداف ستكون في سياق التحديات التي يَطرَحُها علينا العالَمُ الأدبيّ إثر عملِنا على مؤلَّفِ الشهاب مثل تحدّيات القرنين السادس والسابع عشر الميلاديّين.

---

[144] نفسه، 450/2.

[145] نفسه، 450/2.

[146] نفسه، 450/2.

الفصل الخامس: الأغراض

نضع في ما يلي قراءةً في أهداف المؤلف التي قرأناها في المقدّمة وربطناها مع أقسامٍ في نصّ *الريحانة* بناءً على التقاطعات التي أشرنا إليها سابقًا بين مسيرة الشهاب/المهنيّة والدراسات التاريخيّة للقرنين السادس والسابع عشر الميلاديّين والدراسات في حقل المختارات الأدبيّة، لنفهم أكثر منطق الجمع في الكتاب في علاقته بالبُنى المعرفيّة التي تحرّك فيها الشهاب، ولنوضح أيضًا الأهداف خلف هذا الجمع في كتابه، آخذين بعين الاعتبار التحدّيات التي تفرضها علينا ظروف هذه المرحلة مثل قلّة الدراسات المتوفّرة حول حياة الشهاب.

1. الأبعاد الأيديولوجيّة للتقسيم: أوّل أهداف المؤلّف

قال الشهاب عن ارتحاله في المقدّمة:" ...طورًا أُشَقّق قلب الشّرق كأنّي أُفتِّش على الفجْر ، وتارةً أُمزّق كِيس الغرب حتّى كأنّي أُريد أن أخرج منه ديار البدر."[147] ذكر كاتب جلبي (ت 1657م) في مؤلّفه *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون* أنّ الخفاجيّ قد قسّم كتابه *خبايا الزوايا* إلى خمسة أقسام: 1- في رجال الشام، 2- في رجال الحجاز، 3- في رجال مصر، 4- في رجال المغرب، 5- في رجال الروم، ثمّ الخاتمة في نَظم المؤلّف ونثره.[148] وبعد اطّلاعنا على مخطوط لكتاب *خبايا الزوايا*[149] بهدف الاطّلاع على الفارق بين

---

[147] نفسه، 1/7-8.

[148] انظر: حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، 699.

[149] إنّ المخطوط المذكور وجدناه إلكترونيًّا على موقع "كتاب بديا" وعليه ختم ثلاث مكتبات: مكتبة الملك فهد، ومكتبة السعودية بالرياض، ومكتبة التيسير. وهو من توزيع مكتبة التّيسير–فرع الظهيرة الرياض كما يشير الختم. ذكر محقّق ***الريحانة*** عبدالفتّاح محمّد الحلو أنّ مخطوطات هذا الكتاب موجودة في: دار الكتب 48 ، 1312 ، 4697 أدب – أسعد أفندي

تقسيمَي الكتابَين، وجدناه كما يظهر في الجدول ج.5: لاحظنا أنّ الخفاجيّ قد بدأ بـ "محاسن أهل الشّام.." في الترتيبَين بيد أنّه وُلد ونشأ بمِصر. يبدأ الخفاجيّ الكتابين بقسم "الشّام" في مؤلَّفيْه، ثمّ إنّ هذا مدعاة للسّؤال، لأنّه المصريّ الذي ولد بمصر وتولّى قضاءها، كما وأنّه القاضي الحنفيّ المقرّب من السّلطان مراد الرّابع (ت 1640م) الذي ولّاه القضاء، إلّا أنّه لم يجعل التقسيم يبدأ من مصرَ ولا من بلاد الروم أو القسطنطينيّة عاصمة الإمبراطوريّة. يبحث ناثانيال ميلار بالأبعاد الأيديولوجيّة في كتاب *خريدة القصر* لعماد الدين الإصفهانيّ (ت 1201م): حيثُ يركّز ميلار على فكرة أنّ عماد الدين اهتمّ أكثر ببغداد وبالخلافة العبّاسيّة أكثر ممّن سبقه من الأدباء الذين ألّفوا في المختارات الأدبيّة،[150] والتي كانت كتبهم ببنيتها وتقسيمها توحي بتوجّهٍ سنّيٍّ مسيطرٍ انتقل من الانقسام الأدبيّ بالرأي حول مزايا شعراء الشام والعراق، وأصبح توجّهًا برز في التقسيم الجغرافيّ للكتب.

يساعدنا هذا الجدل الذي يسلّط الضوء عليه ميلار في فهم تقسيم *الريحانة* أكثر: ينقسم كتاب *الريحانة* إلى أربعة أقسام: 1–شعراء الشام، 2–شعراء المغرب (المغرب، وشعراء مكّة، واليمن)، 3–شعراء مصر، 4–شعراء الروم (الروم، فصل في بيان أحوال الروم وانقراض علمائها)، 5–القسم الأخير لبيان حال المؤلّف، وختامُهُ ذكرُ شعراءٍ من أعلام الأدب واختيارات أدبيّة من دواوينهم. يبدو أنّ الخفاجيّ قد تأثّر بالثعالبيّ وبالتوجّه السنّيّ في المفاضلة في ذكر الأدباء بين الشام والعراق، إذ يغلب على الكتاب اختيار الشعراء السنّة وأغلبهم من الحنفيّة والشافعيّة وفيهم بعض من المالكيّة، وهم شعراء الشام ومصر والروم. أضف إليه، فإنّه يبدو أكثر تشدّدًا ممّن سبقه من الشعراء إذ لا يذكر شعراء بغداد، ولا خراسان، ولا نيسابور، بلد الثعالبيّ البتّة، أو ربّما لم تُتَح له

2608/2 – سليم أغا 948 ، 949 – كوبريلي 1239 – نور عثمانية 3792 – ليبسك 884 – برلين 7414 – جوته 2164 – فيينا 406 – بطرسبورج 248. انظر: *ريحانة الألبّا*، 1/13–14.

[150] Rosenthal, *Knowledge Triumphant: The Concept of Knowledge in Medieval Islam*, 252-77.

الفرصة للاتّصال بهم ومعرفة أخبارهم إذ كانت العلاقات غير مستقرّة بين الصفويّين والعثمانيّين ممّا قد يحكُم على هذا الأمر بالقطيعة، ثمّ اقتصر الأمر في كتابه على ذكر شعراءَ من المغرب من العلويّة، وذكر الدولة الحسنيّة الهاشميّة في مكّة، وذكر أربعة شعراء من اليمن.

2. الرد على الشيخ يحيى بن زكريّا ثاني أهداف المؤلّف

لم يبدأ الخفاجيّ أقسام الكتاب بذكر "مصر وعلمائها،" وهذا أمرٌ لافتٌ: إنّ الأدباء المصريّين المذكورين في *الريحانة*، وكما هو وارد في الجدول ج.6 هم الأكثر عددًا، فيفوق عددهم عدد أدباء الشام. أضف إليه، فهو لم يجعل لعاصمة الدولة العثمانيّة، القسطنطينيّة، القسم الأوّل أو حتّى الأكبر من كتابه مع أنّه شغل في هذه السّلطنة عدّة مناصب قضائيّة، فقد ذكر من بلاد الروم خمسة أدباء فقط. إنّ موقفه من أدباء الروم يظهر أهدافًا أخرى لاحظنا وجودها في مقدّمة الكتاب كالردّ على الشيخ يحيى بن زكريّا إذ يقول:"

وممَّا أعان عليَّ الزّمانَ عَفافُ يدي وعُلُوُّ الهِمَمْ"[151]

يذكر المحبّي أنّ شيخ الإسلام اتّهم القاضي الخفاجيّ بالطمع وعزله وأعرض عنه، وعلى غرار هذا يضع الخفاجيّ في الفصل الذي خصّصه لبلاد الروم في الكتاب مقامةً سمّاها "المقامة الروميّة" وهي التي كتبها بالشيخ يحيى بن زكريّا إثر إعراضه عنه، وقد هجاه فيها. وهذا دليلنا على أنّه من جمعها في كتابهِ *الريحانة* إذ قال في الباب الذي خصّصه لمؤلّفاته:" وها أنا أذكر لك المقامة الروميّة التي ذكرت فيها أحوال أهل الروم

[151] انظر: *الريحانة*، 6/1.

وعلمائها وهي هذه:..."[152] ومن ناحيةٍ أخرى، فما جعلنا نلتفت إلى أمر الرد على الشيخ يحيى بن زكريّا هو البدء بالشام وليس بغيرها:

إنّ ابن معصوم (ت 1709م) انتقد الشهاب في كتابه *سلافة العصر* فقال:" إلا أنه كثير الإعجاب بنفسه ، ساحبا ذيل الفخار والكبرياء على أبناء جنسه ، وما لابن آدم والفخار! وهو مخلوق من صلصال كالفخار."[153] ونحن لمسنا طبع الإعجاب بالنفس عند الشهاب إذ كثيرًا ما يذكُرُ قول الشاعر ويُتبِعُهُ بـ "وأحسن منه قولي" أو "لا يصل في الحسن إلى درجة من درجات قولي." ممّا يدلّ على أنّ الشهاب يرى لنفسه مكانةً رفيعةً بين الأدباء أو لديه تقديرٌ كبيرٌ لذاته، ويصعب عليه أن يَمَسَّ أحدٌ بها. وتبعًا لهذا، فإنّ المحبّي قد ذكر في *خلاصة الأثر* أنّ شيخ الإسلام يحيى بن زكريّا قد أعرض عن الخفاجيّ بسبب ما سمع عنه من أمور الطمع والجرأة.[154] ولكن أثناء رجوع الخفاجيّ إلى الروم رحلته الثّانية، أي قبل أن يُعرِضَ عنه المفتي، "مرّ على دمشق وأقام بها أيّاما ومدحه فضلاؤها بالقصائد واعتنى به أهلها وعلماؤها فأكرموا نزله ووقع له لطائف من ذلك أنه دعاه العمّادي المفتيّ..."[155] فإنّنا في هذا الحال نرى أنّ المديح والتكريم الذين يشيران إلى التقدير لشخص الخفاجيّ من قبل علماء الشام قد يكونا سببين مهمّين لأن يجعل الخفاجيّ القسم الأوّل من كتابه للشام، في الوقت الذي يعرض عنه شيخ الإسلام يحيى بن زكريّا فيضع المقامة التي ألّفها فيه في الكتاب نفسِهِ. ليس أمرًا عاديًّا أن يُتّهَمَ قاضٍ بالطّمع، ممّا يعني التشكيك بنزاهته وخاصّةً أنّه تولّى عدّة مناصب عالية وذاع صيتُهُ، فلذلك إنّ ردّة الفعل جاءت كمحاولةٍ لردّ الاعتبار من خلال المقامة وتثبيتها في الكتاب الذي يجمع أدب العصر والذي من

---

[152] نفسه، 341/2.

[153] انظر: *سلافة العصر*، 420-421.

[154] انظر: *خلاصة الأثر*، 334/1.

[155] نفسه، 333/1.

دون شكّ سيبقى في متناول الأجيال وسيُدرَس، ثمّ إنّ الشهاب في كتابه هذا يؤكّد على انقراض علماء الروم، كما وأنه لا يذكر المفتي يحيى بن زكريّا بين العلماء الأروام بل على العكس تمامًا، فقد هجاه في المقامة.

ومن ناحية أخرى، فبالرغم من التوتّر الحاصل بين الخفاجيّ وشيخ الإسلام، فالخفاجيّ واحدٌ من أبرز علماء عصره بشهادة الكثيرين بعدَه، فقد ذكر بمقابل انتقاده له ابن معصوم أنّه "أجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصرَ نيلها وبالشام سيحانه، وأهدى لمشام الأدب من رياض أدبه أطيب ريحانة."[156] كما ذكر المحبّي أنّه "أحد أفراد الدنيا المجمع على تفوقه وبراعته . وكان في عصره بدر سماء العلم ، ونير أفق النظم والنثر ، رأس المؤلفين ، ورئيس المصنفين... والحاصل أنه فاق كل من تقدمه في كل فضيلة ، وأتعب من يجيء بعده ، مع ما خوَّله الله تعالى من السعة ، وكثرة الكتب ، ولطف الطبع ، والنكتة ، والنادرة."[157] وقال عنه الإفرانيّ (ت 1744م) إنّه كان "إماما في العلوم من غير منازع ، حنفي المذهب ، له الشهرة التامة في معمور الأرض."[158] ثمّ إنّنا نرى من هذه الجهة أيضًا أنّ الشهاب كانت له شهرة واسعة، وأنّ شهادة العلماء فيه ضروريّة بعدما تعرّضت سمعته للسّؤال من قبل شيخ الاسلام. فلذلك إنّ موقف علماء الشام يمكن أن يكون أحد الدوافع خلف ابتداء المؤلّف بالشام.

الجدول 5: مقارنة تقسيم مخطوط *خبايا الزوايا* مع تقسيم كتاب *ريحانة الألبّا*

مخطوط خبايا الزوايا	***ريحانة الألبّا***
القسم الأوّل: "في محاسن الشّام ونواحيها ومن نبغ بسرة رباها وبطن واديها ممن تغذى بنسيمها	القسم الأوّل: "في محاسن أهل الشام ونواحيها، ومن برز من سرّة رباها وبطن واديها ، وتغذى

[156] *سلافة العصر*، 420.

[157] *خلاصة الأثر*، 331/1–332.

[158] *صفوة من انتشر*، 128.

وتربى في حجور نعيمها وقال في ظلال رياضها المتعانقة هوى وودا وتعطر بانفاس شمايلها التي صارت للند ندا وتروي بمايها العذب واجتني من لولوها الرطب فهو ما الحياة في جميع الصفات الا انه اخرج من النور لا من الظلمات"[159]	بنسيمها ، وتربَّى في حجر رياض نعيمها وقال في ظلالِ أغصانها ، المتعانقة هوًى ووِدًّا ، وتعطَّرَ بأنفاس شمائلها ، التي صارت للنَّدِّ ندًّا ، وطعِم من مائها العذب وروى بذوب لؤلؤها الرَّطب ، وهو ماء الحياة في سائر الصِّفات إلا أنه في نور التَّقديس وهو في الظُّلمات"[160]
القسم الثاني: "القسم الثاني في اعيان مكة ومن بحماها صانها الله من عين الدهر وحماها لما امتطيت مطايا الهمم ووجهت عزمي لقبلة الأمم..."[161]	القسم الثاني: "في محاسن العصريّين من أهل المغرب وما والاها"[162]
"ذكر الدولة الحسينية ومن بها من العلما والشعرا والاعيان فهي بيت اسست عمده على الخلافة.."[163]	"ذكر مكّة ومن بحماها ، صانها الله وحماها وزادها تشريفا وتكريما وتعظيما لمّا امتطيت مطايا الهمم ووجَّهت وجه عزمي إلى قبلة الأمم ، ورعيت بالأحداق....."[164]

159 انظر: الشهاب الخفاجيّ، *خبايا الزوايا، فيما في الرجال من بقايا* (مخطوط توزيع مكتبة التيسير)، 9.
160 *الريحانة*، 14/1.
161 *الخبايا*، 148.
162 *الريحانة*، 287/1.
163 *الخبايا*، 149.
164 *الريحانة*، 379/1.

	ذكر الدّولة الحسنيّة ومن بها من بقيّة العلماء والشعراء والأعيان..."[165]
	"نفحة من نفحات اليمن ، ومن بلغنا خبرُه في هذا الزَّمن ممن بقي بها من الفضلاء والشعراء ، وكان قريب العهد"[166]
القسم الثالث: "القسم الثالث في اعيان الادبا والفضلا بمصر ونواحيها والقاطنين بها والوافدين عليها.."[167]	القسم الثالث:" في مصر وأحوالها ، وسبب العَوْد لرسُومها وأطلالها لما كانت مصر القاهرة ، ربوعها بالفضلاء والأدباء عامرة..."[168]
القسم الرابع:" في نُبَذٍ من محاسن اهل المغرب حماه الله"[169]	القسم الرابع:" في ذكر الرُّوم ، وما اتَّفَق لي فيها ، وذكر مَن لقيتُه بها من رؤسائها ، وعلمائها وبقيّة دهمائِها لمّا رأيت الدّنيا ميدانا والأجساد فيها خيلٌ عتاق..."[170]

[165] نفسه، 382/1.
[166] نفسه، 449/1-464.
[167] *الخبايا*، 197.
[168] *الريحانة*، 5/2-7.
[169] *الخبايا*، 223.
[170] *الريحانة*، 245/2–247.

القسم الخامس:" في من ادركناه او راينا من رآه بديار الروم..."[171]	"بيان أحوال الروم ، وانقراض علمائها ونشر الظلم والعُدوان بين أمرائها لمَّا انهدم من الفضل بنيانه ، وانقضت عمُدُه وأركانه..."[172]
"خاتمة الكتاب وزبده الاحقاب فاذا انتهت النوبة بنا لذكر من رايته . في رحلتي عن الاحباب . فلنذكر حالي وما انا عليه وما قاسيته . من الدهر وما انتهى لي اليه فاقول..."[173]	"بيان حالي في خبر المبتدا ، وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عَدا فيما بَدَا سألتني أعزَّك الله عن ابتداء حالي ، وما آل إليه أمري ممَّا لم يجْرِ على أمثالي..."[174]

الجدول 6: عدد الأدباء في كلّ قسم من أقسام *الريحانة*

القسم من الريحانة	عدد الأدباء المذكورين
الأوّل: الشام	43
الثاني: المغرب	11
مكّة	26

[171] *الخبايا*، 281.
[172] *الريحانة*، 2/281–283.
[173] *الخبايا*، 397.
[174] *الريحانة*، 2/325.

اليمن	4
القسم الثالث: مصر	69
القسم الرابع: الروم	5

3. التأريخ للذات والسلطنة: التحوّلات السياسيّة والعلاقات الشخصيّة ثالث الأهداف

أبرز الشهاب الصوت التأريخيّ في المقدّمة حين أشار إلى أمر الرؤساء الذين لا ينظمون ولا ينثرون وإلى خطوته في تسجيل أدب العصر عبر الإشارة إلى تجربته الأدبيّة. ثمّ إنّ هذا انسحب على الفصول التي يذكرها عن الإمبراطوريّة العثمانيّة والحكم فيها وعن تجربته وعلاقاته.

أ. السلطنة

يجعل الخفاجيّ في القسم الذي خصّصه للروم فصلًا في انقراض علمائها، يذكر فيه أنّ الأمور قد آلت إلى التراجع بعد شيخ الإسلام أسعد بن محمد سعد الدين بن حسن جان التبريزيّ الأصل، القسطنطينيّ المولد والوفاة، توفّي عام 1622م. ينتقد في السلطنة الفتوى والقضاء والمناصب العلميّة، كذلك ينتقد المدارس فيها، وتولّي الإمارة من قبل من يسمّيهم الفجّار الأشرار، كذلك ينتقد كثرة العزل والنصب، والنفوذ، والكذب، واختلال المُلك، ووصول الجند إلى المنابر والكراسي، وأنّ أصبحت فيها الأنساب مجهولة.

ثمّ يبانُ الصوت التأريخيّ في فصلٍ جعله لأمراء الدولة وحكّامها، وما انتهى إليه حالها في عهد السلطان مراد، يقول فيه:" فاعلم أن قسطنطينية بها حصون عالية البنيان ،... إلّا أنّ بها أسدًا ضاريا غير مقلّم الأظافر ،

يمنع يد كلّ جانٍ... فدنوا منه قليلا قليلا... فرؤوه قتيلا... فجاثوا تلك الدّيار...ومكث شطّارهم زمنا طويلا يأخذون تلك المغانم..."[175]

إلّا أنّ اللافت هو أنّ الخفاجيّ يختتم هذا الفصل بعودته إلى مصر، إذ قال:" ولما انتهت الرّحلة ، وساق الأمل إلى الوطن رَحْلَه . غفرت ما جناه عليَّ الزّمان ، وعلمت أن الدهر قد همَّ بالإحسان.." [176] فيقبل ما عاشه ويساويه "بقول البديع لما شكى له ابن فارس في رسالة له : الأستاذ يقول فسد الزمان . أقول : متى كان صالحا ؟"[177] وبعدها يشير إلى أنّ هذا حال الزمان، ويذكر الفساد في الدولة العبّاسيّة، والدولة المروانيّة، والدولة الأمويّة، والإمارة العدويّة، وفي الخلافة التميميّة، وعهد الرسالة والجاهليّة، ثمّ يعمد إلى قول الملائكة في الآية 30 من سورة البقرة.

قد يكون قبول حال ما آلت إليه الأمور إشارة إلى التخفيف من حدّة ذمّ السلطنة، والإظهار من جهة أخرى أنّ في خوض هذا فهو يوجّه السهام نحو شيخ الإسلام الذي اتّهمه بالطمع ويبيّن موقفه وردّه، خصوصًا أنّه ينتقد الحال في السلطنة بعد السلطان مراد الذي عيّنه قاضيًا، وليس أثناء حكمه أو قبل عهده، فكما بيّنّا سابقًا في القسم الذي خصّصناه لتحدّيات السلطنة في القرن السابع عشر، فإنّ تحدّيات الحكم قد بدأت قبل وصول السلطان مراد وتولّيه الحكم وكان قد تخلّل عهده بعض ثورات الإنكشاريّة والفوضى.

---

[175] *الريحانة*، 299/2.

[176] نفسه، 303/2.

[177] نفسه، 303/2.

ب. التأريخ للذات: علاقات وتجربة المؤلّف

يظهر هذا الصوت أوّلًا في المقدّمة إذ يذكر الخفاجيّ ارتحاله، وجمع الأدب وإقدامه على تسجيل أدب معاصريه ومن مضوا، ثمّ يعود ويظهر في التأريخ للزمن الذي مرّ على السلطنة من بعد شيخ الإسلام أسعد بن محمد سعد الدين بن حسن جان التبريزيّ والسلطان مراد صائغًا هذا في قالب التجربة الشخصيّة. أضف إليه، فإنّ المؤلّف يجعل في ختام الكتاب عدّة فصول تشير إلى تجربته: 1-"فصل فر رجوع المؤلّف إلى مصر" بعد كلامه على أحوال الروم، ثمّ 2-"فصل في عزم المؤلّف الهجرة عن مصر" ثمّ "فصل في بيان حالي في خبر المبتدا ، وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا." ثمّ يجعل فصلًا في انتقاده لأحوال الروم، ورسالته لبعض رؤسائها.[178]

نشير إلى هذا الهدف الذي لمسناه في المقدّمة والكتاب من أجل تمييز التأليف في المختارات الأدبيّة عند الشهاب وتبيان فرادة العمل لديه، فما يميّز هذا الكتاب هو هُويّته الخاصّة التي تبرُزُ جليّةً إثر قراءة أقسامه في سياق تجربة المؤلّف الشخصيّة وسياق العصر الذي عاشه، فلم يقتضِ الأمرُ على الاختيار من إنتاج أدباء العصر، بل فإنّ محاور الكتاب تعدّدت كما بيّنّا مشيرةً إلى أهداف أخرى تظهرُ إثر قراءة المؤلَّف ضمن سياقاتٍ أخرى.

[178] انظر: *ريحانة الألبّا*، 2/245-339.

الخاتمة

إذًا، تمتاز مقدّمة كتاب *ريحانة الألبّا* بأنّها تظهر لنا منطق الجمع بين أنواع أدبيّة مختلفة في كتاب المختارات الأدبيّة عند الشهاب الخفاجيّ (ت 1659م) مثل المقامة والسيرة والشعر، وتعيّن علينا لفهم منطق الجمع هذا أن نفهم تجربة المؤلّف نفسَها ضمن الدوائر المعرفيّة التي تحرّك ضمنها في حياته مثل منصبه في القضاء وعلاقاته ورحلاته، إضافةً إلى تاريخ القرنين السادس عشر والسابع عشر الميالديّين بعيدًا عن سرديّة الانحطاط التي تطال هذه القرون. إنّ فهم منطق الجمع هذا ساهم في أن نطرح في رسالتنا مقاربةً للتأليف في المختارات الأدبيّة عند الشهاب والتي تأتي مزيجًا من تماهي دوائر معرفيّة عديدة منها ما يحرّكه المحيط الذي نشأ وارتحل فيه، ومنها ما تحرّكه العلاقات الشخصيّة، ومنها ما يتأثّر بموقعه العلميّ/العمليّ في مؤسّسات السلطنة العثمانيّة.

سهامت رسالتنا أيضًا في إظهارِ تعريفِ الشهاب للأدب الذي يدور بين مستوياتٍ ثلاثة، وإصرارِهِ على تماهي هذه المستويات في تقييم المادّة المعرفيّة التي يضعُها في مؤلّفه. أضف إلى ما سبق، فقد ساهم بحثُنا في المقدّمة في الإشارة إلى المواضع التي لم نجد لها ذكرًا واضحًا في المقدّمة هذه بيدَ أنّنا قرأنا لها وجودًا في النصّ مثل المصادر المكتوبة التي أخذ منها الشهاب بعضًا من مادّته، هذا لأنّ المقدّمة في الأساس حملت تخطيطًا للكتاب وتأريخًا لعمليّة تأليفه إذ يتحرّك هذا المؤلَّف بين نُسختين، أولاهما *خبايا الزوايا*، أصلُ كتاب *ريحانة الألبّا* نسخة الكتاب الثانية. إنّ الإشارة إلى عمليّة التأريخ للكتاب والذات دفعتنا أكثر باتّجاه دراسة المقدّمة بالعودة إلى تجربة الشهاب وإلى القرن السابع عشر، وهذا ما سمح لنا بتصويب ما توصّلت إليه الأبحاث حول شخصيّة الشهاب كما تظهر في دائرة المعارف الإسلاميّة النسخة الثالثة.

إنّ ما توصّلت إليه رسالتنا يؤكّد على ضرورة دراسة العمل الأدبيّ ضمن السياقات التي تساهم في إنتاجه ومؤلّفه معًا. فقد حرّكت نظام النصّ عند الشهاب عدّة علاقات وساهمت في فهمنا له وهي تدور بين مفاهيم خمسة: المكان الجغرافيّ، والخفاجيّ المؤلّف، وتعريف الأدب، والنصّ، والمكان النصّيّ. أولى هذه العلاقات هي بين المكان الجغرافيّ والخفاجيّ المؤلّف، ولقد لمسناها في الفصول جميعًا، إذ نجدها في نشأة المؤلّف وسلوكه، حيث نشأ في بيئة علميّة ودينيّة حكمت عمله كقاضٍ، كما وحكمت رحلاته ضمن أراضي السلطنة، وهجرته من مصر، وعلاقاته الناتجة عن وجوده في الأمكنة التي ذكرناها وعمله وأهدافه. ثمّ بعد هذه العلاقة بين المكان الجغرافيّ والخفاجيّ المؤلّف، نجد علاقةً أخرى أكثر ما لمسناها في الفصل الأوّل من الرسالة، وهي بين الخفاجيّ المؤلّف وتعريف الأدب، فقد رافق هذا التعريف المؤلّف في نشأته ورحلته، وهو كما بيّنّا له ثلاثة مستويات وعنهُ نتجَت عمليّة اختيار الأدب وساهمت في إنشاء العلاقة بين تعريف الأدب والنصّ الذي يبنيه الشهاب من عدّة نصوص. حددت هذه العلاقة معالم النصّ، ممّا جعل لتعريف الأدب تأثيرًا مباشرًا على النصّ نفسه وعلى بنيته وطريقة التصنيف فيه. وأخيرًا فإنّ العلاقة بين النصّ والمكان تظهر من خلال وجود المكان النصّيّ، وهو الخريطة الموجودة في المقدّمة والتي توزّعت على أساسها معالم النصّ.

إنّ هذه العلاقات المفاهيميّة تتوزّع بدورها بين المكان (المكان الجغرافيّ، الخفاجيّ المؤلّف، المكان النصّيّ) والزمان (الخفاجيّ المؤلّف، تعريف الأدب، المكان النصّيّ)، وهي بدورها تُعيدُنا إلى ما طرحه ثوماس باور ودانا سجدي وآخرون عن ضرورة دراسة الإنتاج الأدبيّ لهذه القرون ضمن الفضاء الذي أنتجت فيه. ونختم هذا العمل بالأسئلة التالية علّها تسلّط الضوء على مواضيع يبحثها الدارسون في المستقبل: هل تنسحب مواقف الخفاجيّ على جميع القضاة العرب في عصره؟ وما هو تعريف الأدب في القرنين التاسع والعاشر الهجريّين انطلاقًا من مواقف علماء هذين القرنين؟ إنّ أهميّة هذين السؤالين تأتي ممّا كنّا قد ناقشناه في مقدّمة هذه

الرسالة بحيث تسهم الإجابة عنهما والبحث في تفاصيلهما في امتداد المعرفة المرجوّة عن هذه المرحلة التاريخيّة، وفي الإسهام بدراسة الإنتاج الأدبيّ والفكريّ العربيّ.

بِبليوغرافيا

أوّلًا: المراجع العربيّة:

الإفرانيّ. *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*. تحقيق عبدالمجيد خيالي، مركز التراث الثقافيّ المغربيّ، الدار البيضاء–المغرب.

خليفة، حاجي. *سلّم الوصول إلى طبقات الفحول*. تحقيق صالح سعداوي صالح، مكتبة إرسيكا إستانبول–تركيّا، 2010.

الخفاجيّ، الشهاب. *ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدّنيا*. تحقيق عبدالفتّاح محمّد الحلو، طبع بمطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه، 1967.

الخفاجيّ. *خبايا الزوايا فيما في الرّجال من بقايا*. مخطوط توزيع مكتبة التيسير–فرع الظهيرة الرياض.

المحبّي، محمّد أمين. *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*. تحقيق مصطفى وهبة، المطبعة الوهبيّة، 1248هـ.

المدنيّ، ابن معصوم. *سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر*. المكتبة الشّاملة.

ثانيًا: المصادر العربيّة:

الأرفه لي، بلال. *فن الاختيار الأدبيّ أبو منصور الثعالبيّ وكتابه يتيمة الدهر*. ترجمة لينا الجمّال، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2021.

جبري، شفيق. *دراسة الأغاني*. دمشق–سورية: دار البشائر–الطبعة الثانية، 2001.

الخنسا، إيناس. ""ربّ متردّم غادر الشعراء": بحث في ذاتيّة الاختيار ضمن ثلاثة أعمال أندلسيّة." *الأبحاث* 71، (2023).

الرويهب، خالد. *تطور المنطق العربيّ (1200–1800م)*. ترجمة أحمد شكري مجاهد. الطبعة الأولى، الكويت–لبنان: مركز نهوض للدراسات والبحوث، 2022.

ريالات، زهير هاشم. *الشهاب الخفاجيّ ومنهجه في التفسير*. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، 2004.

صابان، سهيل. *المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة*. تحقيق عبدالرزّاق محمّد حسن بركات. الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000.

نجّار، إبراهيم. *شعراء عبّاسيّون منسيّون*. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1997.

الزهراني، عبدالله ابراهيم. *شهاب الدين الخفاجيّ حياته وأدبه 977–1069هـ*. رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى، 1986.

ثالثًا: المصادر الأجنبيّة:

Abdurrahman, Actil. “The Route to the Top in the Ottoman Ilmiye Hierarchy of the Sixteenth Century.” *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 72, no. 3 (2009).

Bauer, Thomas. "In search of 'Post-Classical Literature': A review Article." *Mamlūk Studies Review* 11, no. 2 (2007).

Beers, Theodore S. “Paths Crossings in Damascus: Familiarity with Persian among Eleventh/Seventeenth-Century Arabic Literati.” *Philological Encounters* 7, (2022).

El Cheikh, Nadia Maria. “In Search for the Ideal Spouse.” *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 45, no. 2 (2002).

Faroqi, Suraiya. ‘Selānīk’. In *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*. edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, P.J. Bearman (Volumes X, XI, XII), Th. Bianquis (Volumes X, XI, XII), et al. Accessed February 4, 2024. http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_6700.

Gunduz, Haci Osman. “Ottoman-Era Arabic Literature: Overview of Select Secondary Scholarship.” *Journal of the Faculty of Arts and Sciences* 69, (2021).

Hamori, A., Bruijn, J.T.P. de, Kut, Günay Alpay, and Haywood, J.A. ‘Mukhtārāt’. In *Encyclopaedia of Islam, Second Edition*, edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, P.J. Bearman (Volumes X, XI, XII), Th. Bianquis (Volumes X, XI, XII), et al. Accessed January 9, 2024..

Hathaway, Jane. “The Grand Vizier and the False Messiah: The Sabbatai Sevi Controversy and the Ottoman Reform in Egypt.” *Journal of the American Oriental Society* 117, no. 4 (1997).

IIK ARIFIN, MANSURNOOR. “RELIGIOUS SCHOLARS AND STATE: PATTERNS OF RECRUITMENT AMONG THE OTTOMAN ‘ULAMĀ.’” *Islamic Studies* 31, no. 1 (1992).

Kafadar, Cemal. “The Question of Ottoman Decline.” *Harvard Middle Eastern and Islamic Review* 4 (1997-1998).

Kafadar, Cemal. “On the Purity and Corruption of the Janissaries.” *Turkish Studies Association Bulletin* 15, no. 2 (1991).

Kilpatrick, Hilary. “A Genre in Classical Arabic Literature: The Adab Encyclopedia.” In Proceedings [of The] 10th Congress of the U. E. A. I., Edinburgh, 9-16 September 1980, edited by Robert Hillenbrand, 34-42. Edinburgh, 1982.

Kilpatrick, Hilary. “Context and the Enhancement of the Meaning of aḫbār in The Kitāb al-Aġanī,” *Arabica* 38, (1991).

Lecomte, G. ‘Al-Muʿallaḳāt’. In *Encyclopaedia of Islam, Second Edition,* edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs, P.J. Bearman (Volumes X, XI, XII), Th. Bianquis (Volumes X, XI, XII), et al. Accessed January 9, 2024. http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_5269.

Lewis, Bernard. “Ottoman Observers of Ottoman Decline.” *Islamic Studies* 1, no. 1 (1962).

Orfali, Bilal. “A Sketch Map of Arabic Poetry Anthologies up to the Fall of Baghdad.” *Journal of Arabic Literature* 43, no. 1 (2012).

Orfali, Bilal, and El Cheikh, Nadia Maria, eds. *Approaches to the Study of Pre-Modern Arabic Anthologies*. Leiden, The Netherlands: Brill, 11 Feb. 2021.

Pfeifer, Helen. *Empire of Salons: Conquest and Community in Early Modern Ottoman Lands*. Princeton University Press, 2022.

Rosenthal, Franz. *Knowledge Triumphant: The Concept of Knowledge in Medieval Islam*. Leiden: E.J. Brill, 1970.

Sajdi, Dana. "The Place of Early Modern Arabic Culture." *Journal of the Ottoman and Turkish Studies Association* 7, no. 2 (Fall 2020).

Talib, Adam. *How Do You Say "Epigram" in Arabic?: Literary History at the Limits of Comparison*. Leiden, The Netherlands: Brill, 2018.

Zilfi, Madeline C. *The Politics of Piety*. Beirut: Bibliotheca Islamica, 1998.